من بلاغة ذكر العام وإرادة الخاص في القرآن الكريم

إعداد الدكتور/

أنس محمد عبد المنعم الغنام

مدرس البلاغة والنقد

بكلية اللغة العربية بالزقازيق

جامعة الأزهر

من بلاغة ذكر العام وإرادة الخاص في القرآن الكريم

أنس محمد عبد المنعم محمد الغنام

قسم البلاغة والنقد كلية اللغة العربية بالزقازيق – جامعة الأزهر، مصر.

الإيميل: alghnnam1980@gmail.com

الملخص :

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله– صلى الله عليه وسلم– وبعد:

يعد ذكر العام وإرادة الخاص من الأساليب التي وردت بكثرة في القرآن الكريم، وكثرة وروده على هذا النحو تدل على قيمته في تصوير المعنى، وإبرازه لائحا للعيان؛ كي يؤدي وظيفته في حمل مراد الله– عز وجل– إلى المخاطبين بهذا القرآن الكريم .

ومع قيمة هذا الأسلوب وكثرته في القرآن الكريم، لكنه لم يلق الاهتمام الذي يليق به، فلم يذكره كثير من علماء البلاغة في كتبهم، أو يلفتوا النظر إليه، وإنما وردت إشارات عنه متناثرة هنا وهناك، لم تكن كافية لبيان أهميته، وإبراز قيمته.

أما سبب اختياري لهذا الأسلوب فهو كثرته في القرآن الكريم، هذه الكثرة التي تنبىء عن أهميته، وقيمته في تصوير المعنى، بالإضافة إلى عدم شهرته في كتب البلاغة، فكان ذلك داعيا لي إلى تسليط الضوء عليه، بإبراز قيمته، وقيمة ما ينطوي عليه من إبداع وجمال.

هذا، وقد قسمت البحث إلى:

المقدمة: فقد بينت فيها أهمية الموضوع، وسبب اختياري له، مع بيان خطته، والمنهج الذى سرت عليه فيه.

التمهيد: عرضت فيه لمفهوم الخاص والعام، مع عرض تاريخي لهذا الأسلوب عند البلاغيين والمفسرين، ثم بينت قيمته البلاغية.

المبحث الأول فهو: من بلاغة التعبير بالعموم المستفاد من (ال) الداخلة على المفرد.

المبحث الثانى: من بلاغة التعبير بالعموم المستفاد من (ال) الداخلة على الجمع.

المبحث الثالث: من بلاغة التعبير بالعموم المستفاد من(كل – ما الموصولة– ضمائر الجمع)

الخاتمة: بينت فيها أهم نتائج هذا البحث.

الفهرس: ذكرت فيه أهم المراجع التى استعنت بها فى هذا البحث.

أما منهجي فى هذا البحث فهو المنهج التحليلي، الذى يحلل هذا الأسلوب تحليلا بلاغيا يكشف ما ينطوي عليه من أغراض بلاغية، وأسرار بيانية، مع إبراز دوره في تصوير المعنى من خلال السياق الذي ورد فيه.

الكلمات المفتاحية: العام – الخاص – القرآن الكريم – المبالغة – البلاغة – التعبير.

From the eloquence of the public mention and your will in the Holy Quran

Anas Mohamed Abd El, Moneim Mohammed Al, Ghannam

Department of Rhetoric and Criticism Faculty of Arabic Language in Zagazig - Al-Azhar University, Egypt.

Email: alghnnam1980@gmail.com

Abstract:

Praise be to God, and prayers and peace be upon the Messenger of God - may God's prayers and peace be upon him - and after:

the method of (The mention of the General and the will of the Specific) are considered among the methods that are mentioned in abundance in the Holy Qur'an, and its frequent occurrence in this way indicates its value in depicting the meaning, and highlighting it In order to perform his function of carrying the will of God - the Almighty - to the addressees of this Noble Qur'an.

Despite the value of this method and its abundance in the Holy Qur'an, but it did not receive the attention that befits it, but many scholars of rhetoric did not mention it in their books, or draw attention to it, but there were references about it scattered here and there, which were not enough to explain its importance, and highlight its value.

As for the reason for choosing this method, it is its abundance in the Holy Qur'an, this abundance that indicates its importance and value in depicting the meaning, in addition to its lack of fame in the books of rhetoric.

This research was divided into:

The Introduction: I explained in it the importance of the topic, and the reason for choosing it, with an explanation of its plan, and the method

which you walked in .

The preface: I presented in it the concept of (the Specific) and (the General) with a historical presentation of this method at scholars of

rhetoric and Interpretation scholars, then showed its rhetorical value.

The first topic: From the eloquence of the expression in (the General), which is derived from (the) entering the singular.

The second topic: From the eloquence of (the General) expression which is derived from (the) entering the plural.

The third topic: From the eloquence of expression in (the General), which is derived from (every -relative pronoun (what) - (plural pronouns).

The Conclusion: The most important results of this research are shown

The Index: I mentioned the most important references that I used in this research.

My method in this research is the analytical method, which analyzes this method in a rhetorical analysis that reveals its rhetorical purposes and graphic secrets, while highlighting its role in depicting the meaning through the context in which it was mentioned.

key words: the general- the specific - The Holy Quran-the exaggeration- the rhetoric- the expression.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي عمت رحمته في الدنيا العالمين، وخص بها في الآخرة عباده المتقين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم. أما بعد:

فيعد ذكر العام وإرادة الخاص من الأساليب التي وردت بكثرة في القرآن الكريم، وكثرة وروده على هذا النحو تدل على قيمته في تصوير المعنى، وإبرازه لائحا للعيان؛ كي يؤدي وظيفته في حمل مراد الله- عز وجل- إلى المخاطبين بهذا القرآن الكريم .

ومع قيمة هذا الأسلوب وكثرته في القرآن الكريم، لكنه لم يلق الاهتمام الذي يليق به، فلم يذكره كثير من علماء البلاغة في كتبهم، أو يلفتوا النظر إليه، وإنما وردت إشارات عنه متناثرة هنا وهناك، لم تكن كافية لبيان أهميته، وإبراز قيمته.

لكن عند المفسرين والعلماء المهتمين بعلوم القرآن الكريم، وجدنا الأمر بعكس ذلك، حيث أكثروا من ذكره، والتنبيه عليه عند تفسيرهم للآيات التي ورد فيها، مع بيان بعض التوجيهات البلاغية التي يمكن حمله عليها.

وظل الحال هكذا حتى جاء الإمام الزركشي، فجمع طائفة من شواهد هذا الأسلوب في كتابه (البرهان في علوم القرآن)، ولكنه كان يعدد هذه الشواهد دون الوقوف على أسرارها البلاغية، وقيمتها التعبيرية. (١)

وعندما وقعتُ على هذه الشواهد وجدت أن كثيرا منها بالفعل يندرج تحت التعبير بالعام عن الخاص، وبعضها لا يندرج تحته؛ لذلك استبعدته، ثم أضفت إلى الشواهد الصحيحة ما استطعت جمعه من خلال قراءتي للقرآن الكريم، ومن خلال البحث في كتب المفسرين، فجمعت طائفة صالحة من هذا الأسلوب تنضاف إلى ما جمعه الإمام الزركشي، فكان هذا البحث.

ولا أدعي الإحاطة بكل شواهد هذا الأسلوب في القرآن الكريم، فهذا ما لا أستطيع الجزم به، ولا يستطيعه أي باحث في القرآن الكريم؛ لأنه بحر لا ساحل له في أساليبه، وتعبيراته، وغزارة معانيه. وهل يستطيع المخلوق أن يحصي كل مراد الخالق؟.

وحسبي أنني اجتهدت قدر طاقتي في جمع شواهد هذا الأسلوب، مع محاولة الكشف عن أسراره البلاغة، ودقائقه التعبيرية من خلال ما قاله علماء التفسير، حيث انتقي من كلامهم ما أراه صالحا في بيان هذه الأسرار، مع إضافة بعض التوجيهات البلاغية التي أراها مقبولة في حمل هذا الأسلوب عليها.

أما سبب اختياري لهذا الأسلوب فهو كثرته في القرآن الكريم، هذه الكثرة التي تنبىء عن أهميته، وقيمته في تصوير المعنى، بالإضافة إلى

(١) سيأتي مزيد توضيح لكل هذا في التمهيد إن شاء الله.

عدم شهرته في كتب البلاغة، فكان ذلك داعيا لي إلى تسليط الضوء عليه، بإبراز قيمته، وقيمة ما ينطوي عليه من إبداع وجمال.

هذا، وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يشتمل على:

مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرس المراجع.

أما المقدمة: فقد بينت فيها أهمية الموضوع، وسبب اختياري له، مع بيان خطته، والمنهج الذى سرت عليه فيه.

التمهيد: عرضت فيه لمفهوم الخاص والعام، مع عرض تاريخي لهذا الأسلوب عند البلاغيين والمفسرين، ثم بينت قيمته البلاغية.

أما المبحث الأول فهو: من بلاغة التعبير بالعموم المستفاد من (ال) الداخلة على المفرد.

والمبحث الثانى: من بلاغة التعبير بالعموم المستفاد من (ال) الداخلة على الجمع.

المبحث الثالث: من بلاغة التعبير بالعموم المستفاد من (كل – ما الموصولة– ضمائر الجمع)

الخاتمة: بينت فيها أهم نتائج هذا البحث.

الفهرس: ذكرت فيه أهم المراجع التى استعنت بها في هذا البحث.

أما منهجي فى هذا البحث فهو المنهج التحليلي، الذى يحلل هذا الأسلوب تحليلا بلاغيا يكشف ما ينطوي عليه من أغراض بلاغية، وأسرار بيانية، مع إبراز دوره في تصوير المعنى من خلال السياق الذي ورد فيه.

والحمد لله رب العالمين

الدكتور / أنس محمد عبد المنعم محمد الغنام

المدرس بقسم البلاغة والنقد

كلية اللغة العربية بالزقازيق – جامعة الأزهر

التمهيد

ذكر العام وإرادة الخاص

(تعريفه – تاريخه – بلاغته)

يعد مصطلحا العام والخاص من المصطلحات التي لم تعرف عند علماء البلاغة، ولم يتم تناولها في كتبهم، وإنما ورد هذان المصطلحان بكثرة في كتب أصول الفقه، كما أن لهما أهمية كبيرة جدا في استنباط الأحكام الفقهية؛ لذا أفرد لهما علماء الأصول في كتبهم أبوابا للتعريف بهما، وبيان كثير من مسائلهما؛ لذلك سيكون تناولنا لهذين المصطلحين من خلال كتب الأصول.

ومن أهم الكتب التي جمعت معظم ما يتعلق بمسائل أصول الفقه، واستوعبت كثيرا من مصطلحاته مع حسن ترتيب، وجودة تبويب كتاب (إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول) للإمام الشوكاني؛ لذلك كل ما سيأتي في هذا التمهيد سيكون تلخيصا موجزا لبعض مسائل العام والخاص، التي لها تعلق بهذا البحث.

تعريف العام[1]:

وهو في اللغة شمول أمر لمتعدد، سواء كان الأمر لفظا أو غيره، ومنه قولهم: عمهم الخير إذا شملهم، وأحاط بهم.

---

(١) ينظر: إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، المؤلف: محمد بن علي الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، المحقق/ أبو حفص بن العربي الأثري، الطبعة: الثانية ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م الناشر: الفاروق الحديثة للنشر– القاهرة ١/ ٤٨٧

وفي الاصطلاح: هو اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد، كقوله: الرجال. فإنه مستغرق لجميع ما يصلح له.

صيغ العموم(١):

للعموم صيغ كثيرة جدا، ولكن من هذه الصيغ، والتي وردت في هذا البحث.

١- اسم الموصول (ما): مثل قوله- تعالى-: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾(٢).

٢- صيغة (كل) ، و(جميع): تقول جاءني كل عالم في البلد، أو جميع علماء البلد إذا أردت استغراق جميع هؤلاء العلماء.

٣- النكرة في سياق النفي، مثل قوله- تعالى-: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾(٣).

٤- الألف واللام: وهي تفيد العموم إذا دخلت على الجمع، سواء كان سالما أو مكسرا، وسواء كان من جمع القلة أو الكثرة، وكذا إن دخلت على اسم الجمع، مثل : ركب، ورهط، وقوم، وصَحْب، وكذا إذا دخلت على اسم الجنس.

---

(١) ينظر: المصدر نفسه، صفحات ١/ ٥٠٣ ، ١/٥٠٥ ، ١/٥١٠ ، ١/ ٥١٤ ١/ ٥١٧

(٢) سورة: الكهف, آية: ٧

(٣) سورة: الأنعام, آية: ٣٨

٥- التعريف بالإضافة: مثل جاءني أهل المدينة.

تعريف الخاص[١]:

هو في اللغة الإفراد، ومنه الخاصة، وفي الاصطلاح: إخراج بعض ما كان داخلا تحت العموم.

ما يقع به تخصيص العام[٢]:

هناك أشياء كثيرة يقع بها تخصيص العام، لكن ما له تعلق بالبحث ثلاثة أشياء:

١- التخصيص بالعقل: وهو أن يحكم العقل باستبعاد أن يكون اللفظ على عمومه، وإنما يُقصد به خاص، مثل: قوله- تعالى- عن الريح التي أرسلها على قوم عاد: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾[٣]، فهي لم تدمر كل شيء على العموم، وإلا لهلك العالم كله، وإنما دمرت قوم عاد ومساكنهم، وما يتعلق بهم.

٢- التخصيص بالحس: يعنى ما يحسه الناس، ويرونه من عاداتهم في حياتهم، مثل قوله- تعالى-: ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾[٤]، فمما يراه الناس من أحوال

(١) ينظر : إرشاد الفحول، ٧/٢ ، ١٠/٢

(٢) ينظر : المصدر نفسه، صفحات٥٥/٢ ، ٥٨/٢ ، ٥٩/٢

(٣) سورة: الأحقاف, آية: ٢٤-٢٥

(٤) سورة: النمل, آية: ٢٣

الملوك أنهم لا يُؤتَون من كل شيء على العموم؛ لذلك المقصود بالآية: أوتيت من كل شيء له علاقة بعظمة ملكها، وتمام قوتها، وسعة عيشها.

٣- التخصيص بالدليل السمعي: أي، يأتي دليل عن طريق السماع يدل على التخصيص، مثل قوله- تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ٠٠٠ الآية ﴾[1]، فالناس هنا لا يقصد به العموم، وإنما يقصد به الكافرون وعصاة المسلمين؛ لورود أدلة كثيرة من القرآن والسنة تدل على ذلك.

التعبير بالعام عن الخاص عند البلاغيين:

يعد التعبير بالعام عن الخاص من قبيل المجاز المرسل؛ لأنه استعمال للفظ في غير معناه الحقيقي، والعلاقة المسوغة لهذا المجاز هي العموم والخصوص. وبالبحث في كتب البلاغة نجد أن هذا الأسلوب لم يعط حقه من الاهتمام بذكره، وذكر شواهده، وبيان ما تنطوي عليه من بلاغة، وإنما وردت إشارات قليلة له في بعض هذه الكتب، سواء عند القدامى أو المحدثين.

وأول من أورده في كتابه مشيرا إليه – على حد علمي- ابن رشيق (ت: ٤٦٣هـ) في (العمدة)، حيث أشار إليه إشارة عابرة، موردا له شاهدا واحدا، وهو يعدد بعض أساليب القرآن الكريم، فقال:" وجاء العموم بمعنى

(١) سورة: التحريم, آية: ٦

الخصوص في قوله:"يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا [المؤمنون: ٥١]"[1].

ثم جاء بعد ذلك العلوي (ت: ٧٤٥هـ) في كتابه (الطراز)، فذكر هذا التعبير، ولكنه مثل له بشاهد غير صحيح، حيث قال- وهو يعدد علاقات المجاز المرسل-:" كإطلاق لفظ العموم، مع أن المراد منه الخصوص، كقوله- تعالى-: "وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ" [المائدة: ١٢٠] فقد خرج من هذا كثير من الموجودات، التى لا يقدر عليها. فالعموم صار مجازا فى الخصوص."[2]

وما قاله العلوي غير صحيح، بل وفيه طعن في قدرة الله- عز وجل – وأظنه سبق قلم منه. فكيف تكون هناك موجودات لا يقدر عليها؟ لذلك التعبير بشيء هنا لا يراد به الخصوص، وإنما يراد به العموم المطلق، فالله- عز وجل- علي كل شيء في هذا الوجود قدير.

ثم جاء بعده بهاء الدين السبكي (ت: ٧٧٣هـ) في كتابه (عروس الأفراح)، فقال -وهو يعدد علاقات المجاز المرسل-:" ومنها مجاز إطلاق العام وإرادة الخاص، ومثلوه بقوله: "وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا " [النساء: ٦٩]

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، المؤلف: أبو على الحسن بن رشيق القيرواني (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م الناشر: دار الجيل ٢٧٩/٢

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المؤلف: يحيى بن حمزة العلويّ (المتوفى: ٧٤٥هـ)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ، المكتبة العصرية - بيروت ٤٠/١

ولا يتعين؛ لأن لفظ (رفيق) يستعمل للواحد والجمع، ثم هذا القسم هو من التعبير بالجزء عن الكل(١).

هناك ملحوظتان على كلام السبكي:

الأولى : أن الشاهد الذي ذكره للعام المراد به خاص غير صحيح، وهو محق في رفضه؛ لأن "رفيقا" تمييز، ولا يُقصد به أصلا أن يكون عاما معبرا به عن خاص، فهو مستعمل في دلالته الحقيقية.

الثانية: أنه جعل التعبير بالعام عن الخاص من قبيل التعبير بالجزء عن الكل، وهذا غير صحيح؛ لأن الجزء والكل إنما يكون في الشيء الواحد المكون من أجزاء، مثل: الإنسان مكون من أعضاء، والصلاة مكونة من أركان وسنن، أما العام والخاص فبخلاف ذلك، فلفظ (الناس) مثلا لا يدل على شيء واحد مكون من أجزاء، حتى يكون التعبير بالناس والمراد واحد منهم من قبيل التعبير بالكل عن الجزء، وكذلك لفظ (شيء) لا يدل على ذات مكونة من أجزاء، وإنما هذه ألفاظ عامة تدل على أفراد يندرجون تحت هذا العموم، وليسوا أجزاء مكونين لهذا العموم، فبينهما فرق واضح.

هذه الإشارات هي ما استطعت العثور عليه في كتب البلاغة عند المتقدمين والمتأخرين، أما في العصر الحديث، فقد ظل الحال كما هو، إشارات مقتضبة عن هذا التعبير عند تعداد علاقات المجاز المرسل، مع عدم التوسع في ذكر شواهده، وبيان بلاغته.

---

(١) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، (ت: ٧٧٣هـ) وهو ضمن شروح التلخيص، ط: ١٩٣٧م، مطبعة عيسى البابي الحلبي– مصر ٤٣/٤

ففي كتاب جواهر البلاغة يقول أ/أحمد الهاشمي (ت: ١٣٦٢هـ):" والعموم هو كون الشيء شاملاً لكثير نحو قوله تعالى:"أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ"[النساء:٥٤] أي:النبي- صلى الله عليه وسلم- فالناس مجاز مرسل، علاقته العموم، ومثله قوله تعالى:" ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ " [آل عمران:١٧٣] فإن المراد من الناس واحد، وهو نعيم بن مسعود الأشجعي "(١)(٢).

وفعل مثله الشيخ/ عبد المتعال الصعيدي (ت:١٣٩١هـ) في كتابه (بغية الإيضاح)(٣)، ود/ بسيوني عبد الفتاح فيود في كتابه (علم البيان)(٤).

من خلال هذا الاستقراء التاريخي لهذا الأسلوب عند علماء البلاغة، نجد أنه لم يلق أي اهتمام يذكر عند علماء البلاغة، بل إن كثيرا منهم لم يذكروا عنه شيئا في كتبهم، وحتى من ذكروه لم يذكروا له غالبا إلا شاهدا

---

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع،المؤلف: أحمد بن إبراهيم الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق:د. يوسف الصميلي، الناشر :المكتبة العصرية، بيروت، صـ ٢٥٣-٢٥٤

(٢) سيأتي مزيد توضيح لهذين الموضعين، مع بيان سرهما البلاغي خلال هذا البحث.

(٣) ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، المؤلف: عبد المتعال الصعيدي(المتوفى: ١٣٩١هـ) الطبعة: نهاية القرن ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م ، الناشر: مكتبة الآداب ٨٧/٣

(٤) ينظر: علم البيان، د/ بسيوني عبد الفتاح فيود، ط: الثالثة١٤٣٤هـ-٢٠١٣م مؤسسة المختار للنشر والتوزيع- القاهرة، صـ ١٥٠

واحدا، دون بيان سره البلاغي، وأحيانا يكون هذا الشاهد غير صحيح، ولا ينطبق على هذا الأسلوب، مع أن هناك كثيرا من شواهده المذكورة في القرآن الكريم، كما سيتضح من خلال هذا البحث.

التعبير بالعام عن الخاص عند المفسرين:

أستطيع أن أقول إن أول من ذكر هذا الأسلوب، ولفت الانتباه إليه هم المفسرون، والعلماء الذين ألفوا كتبا تتعلق بعلوم القرآن الكريم، حيث تعرضوا للآيات التي ورد فيها هذا الأسلوب، وبينوا ما فيها من بلاغة.

وأول عالم ذكر هذا الأسلوب في كتبه – على حد علمي – ولفت الانتباه إليه هو الفراء (ت:٢٠٧هـ)، حيث قال عند تفسير قوله– تعالى–: ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ﴾[1]: "وإنما نزلت في رجل واحد كان يهمز الناس، ويلمزهم: يغتابهم ويعيبهم، وهذا جائز في العربية، أن تذكر الشيء العام وأنت تقصد قَصْد واحدٍ من هذا، وأنت قائل في الكلام عند قول الرجل: لا أزورك أبدا، فتقول أنت: كل من لم يزرني فلست بزائره، وأنت تريد الجواب، وتقصد قصده." [2]

نلحظ في كلام الفراء أنه أشار إلى هذا الأسلوب، وبين أنه جائز عند العرب، ولكن عند التحقيق نجد أن الآية التي ذكرها لا تعد من قبيل التعبير بالعام عن الخاص؛ لأن الآية فعلا يراد بها العموم، وأن الويل والهلاك إنما

(١) سورة: الهمزة, آية: ١

(٢) معانى القرآن، للفراء (ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق / أحمد يوسف النجاتي، وآخرون الطبعة: الأولى الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر. ٢٨٩/٣

هو لكل من يغتاب الناس، ويطعن فيهم، وإذا كان سبب نزول الآية هو رجل وقع في هذا الذنب، فلا يمنع أن كل من فعل مثل فعلته سيكون له الويل أيضا؛ لذلك قال علماء الأصول: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب(١). ويبقى الفضل للفراء أنه أول من لفت الانتباه لهذا الأسلوب، وأنه من الأساليب الجائزة عند العرب.

ثم أتى بعده ابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ)، وذكر صراحة هذا الأسلوب، فقال عند تفسير قوله- تعالى-: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾(٢) قال :" وأني فضلتكم على العالمين: أي، على عالمي زمانهم. وهو من العام الذي أريد به الخاص"(٣).

ثم جاء من بعدهما الإمام الطبري (ت: ٣١٠هـ)، فذكر في مقدمة تفسيره (جامع البيان في تأويل القرآن) بعض أساليب العرب، التي أتى القرآن الكريم على وفقها، ومنها التعبير بالعام عن الخاص(٤).

ومما يدل على تأثر الإمام الطبري بالفراء وابن قتيبة، وأنهما هما اللذان لفتا نظره إلى هذا الأسلوب، أنه نقل كلام الفراء السابق ذكره عند

---

(١) سيأتي قريبا ترجيح الإمام الطبري أن الآية يقصد بها العموم.

(٢) سورة: البقرة, آية: ٤٧

(٣) غريب القرآن، المؤلف: أبو محمد بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: أحمد صقر، ط: ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م، الناشر:دار الكتب العلمية- بيروت، صـ ٤٨

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للإمام الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق/ أحمد محمد شاكر ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ٠مؤسسة الرسالة. ١٢/١

تفسير قوله- تعالى-: ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ﴾[1]، حيث قال:" وقال بعض أهل العربية"، ثم ذكر كلام الفراء السابق ذكره، ولكنه رجح أن الآية ليست من قبيل العام المراد به خاص، وإنما هي عامة في كل من يغتاب الناس، ويطعن فيهم. [2]

كما ذهب تبعا لابن قتيبة إلى أن قوله- تعالى-: ﴿ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[3] من قبيل العام المراد به خاص [4].

ثم فسر في عدة مواضع من كتابه بعض الآيات على أنها من قبيل التعبير بالعام عن الخاص، بعضها بالفعل يندرج تحت هذا الأسلوب، والبعض الآخر لا يندرج تحته[5]. لكن على العموم قد توسع الإمام الطبري بعض الشيء في ذكر هذا الأسلوب، وتفسير بعض الآيات على مقتضاه، وكل من أتى بعده من المفسرين قد تأثروا به، ولم لا؟ وهو شيخ المفسرين، وكتابه يعد هو المرجع الأول لكل علماء التفسير الذين أتوا بعد ذلك، وكان من نتيجة هذا التأثر أن التفت كثير من المفسرين إلى الآيات التي ورد فيها هذا الأسلوب، وبينوا وجه بلاغته، وظل هذا الأسلوب يتردد ذكره في كتب المفسرين.

---

(١) سورة: الهمزة, آية: ١

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٢٤/٥٩٧-٥٩٨

(٣) سورة: البقرة, آية: ٤٧

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٢/٢٤

(٥) ينظر: المصدر نفسه، صفحات ٤/١٩١، ٥/٣٠٥ ، ١٠/١٦٩ ، ١٩/٣٦٧

حتى أتى الإمام الزركشي (ت:٧٩٤هـ)، فجمع طائفة من هذا الآيات، ووضعها تحت عنوان (إطلاق اسم العام وإرادة الخاص) أثناء تعداده لعلاقات المجاز الإفرادي- هو المجاز المرسل- فكان بذلك هو أول من قام بهذا الجمع من بين علماء البلاغة والتفسير على السواء(١).

ولكن الإمام الزركشي لم يذكر السر البلاغي لكل آية ذكرها، وإنما كان عمله حشد الآيات وجمعها فقط، كما أنه أدخل بعض الآيات تحت هذا الأسلوب، ولكن على الحقيقة لا يصح حملها عليه، لكن هذا لا يغض من قيمة عمله، ولا ينقص من قدره، ويكفيه أنه أول جامع لشواهد هذا الأسلوب في القرآن الكريم.

بلاغة التعبير بالعام عن الخاص:

لهذا التعبير فائدتان بلاغيتان:

الأولى: وهي لا تنفك عنه أبدا، وتعد هي الفائدة الأكبر من وراء هذا الأسلوب، وهي المبالغة؛ لأن تصوير الشيء الواحد في صورة العدد الكثير يدل على المبالغة والتعظيم من شأن هذا الشيء. فعندما تقول جاءنى القوم وأنت تقصد واحدا، لا شك أنه يدل على المبالغة في بيان عظمة هذا الشخص، وإظهار رفيع مكانته، حتى لكأنه أصبح بمفرده يساوي القوم كلهم، فما تفرق فيهم من خصال الخير، ونعوت العظمة تجمعت هي فيه؛ لذلك صح التعبير عنه بالقوم.

---

(١) ينظر:البرهان فى علوم القرآن، للزركشى (ت:٧٩٤هـ)، تحقيق/أبى الفضل الدماطى، ط : ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م ٠ دار الحديث – القاهرة. صـ ٤٨٣

الثانية: الإيجاز. وهذه الفائدة توجد في كثير من مواضع هذا الأسلوب، ولكنها لا توجد في جميعها. فعندما يقول الله- عز وجل-: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا... الآية ﴾(١)، فكل شيء هنا مقصود به قوم عاد، وما يتعلق بهم من مساكنهم وأموالهم وأنعامهم، ولا شك أن قوله: كل شيء أوجز من تعداد الأشياء التي أهلكتها هذه الريح من قوم عاد.

ولا تقتصر بلاغة هذا الأسلوب على هاتين الفائدتين فقط، وإنما هناك فوائد بلاغية أخرى تتعلق بخصوص كل سياق ورد فيه هذا الأسلوب، وهذا ما سيظهر بوضوح من خلال هذا البحث.

بين التعبير بالعام عن الخاص والمجاز العقلي:

من صور التعبير بالعام عن الخاص، أن يعبر بعموم قوم ما عن بعضهم، مثل: قتل بنو فلان فلانا، وإنما القاتل واحد منهم، ولكن لما رضي سائر القوم بما فعله هذا القاتل، جاز التعبير عنه بعموم القوم.

فهذه الصورة جعلها بعض البلاغيين من قبيل المجاز العقلي. يقول د/ محمد أبو موسى، وهو يعدد علاقات المجاز العقلي:" ومن هذه الملابسات أو العلاقات: إسناد الفعل إلى الجنس كله، وهو في الحقيقة مسند إلى بعضه، كقولهم: بنو فلان قتلوا فلانًا، وإنما القاتل رجل منهم"(٢).

---

(١) سورة: الأحقاف, آية: ٢٥

(٢) خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعانى٠د/ محمدأبو موسى ط: التاسعة ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م ٠ مكتبة وهبة – القاهرة. صـ ١٤٨

وكما يجوز حمل هذه الصورة على المجاز العقلي، يجوز- أيضا- حملها على التعبير بالعام عن الخاص، ولا فرق يذكر بين حملها على هذا أو ذاك. فمن نظر إلى الإسناد جعلها من قبيل المجاز العقلي؛ لأن فيها إسناد الفعل إلى ما ليس له، ومن نظر إلى لفظ (القوم) المعبَّر به عن بعضهم، جعله من قبيل المجاز المرسل بعلاقة العموم والخصوص. وسيأتي شواهد لهذه الصورة خلال هذا البحث. إن شاء الله.

المبحث الأول

من بلاغة التعبير بالعموم المستفاد من (أل)

الداخلة على المفرد

المقصود بالمفرد: ما صورته صورة المفرد، حتى وإن كان معناه يدل على الجمع. فلفظ (الناس) مفرد، ولكنه اسم جمع يدل على الجمع؛ لأنه لا واحد له من لفظه، ومثله لفظ (البشر)، وكذلك اسم الجنس (الإنسان)، فهو مفرد، ولكنه قد يستخدم للدلالة على عموم الجنس البشري، وهذه الألفاظ الثلاثة هي ما سترد في هذا المبحث.

التعبير بلفظ (الناس)

وأول المواضع التي ورد فيها التعبير بلفظ (الناس) قوله- تعالى-: ﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾(١).

فالتعبير بالناس في هذه الآية لا يُقصد به العموم؛ لأن هناك من لا يدخل النار أصلا كالأنبياء والصالحين؛ لذلك كان التعبير بالناس في هذه الآية من قبيل العام الذي أريد به الخاص، فالناس هنا يُقصَد بهم كل من كتب الله- عز وجل- عليهم دخول النار، سواء أكانوا من الكافرين، أم من عصاة المؤمنين، بدليل قوله- تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ

(١) سورة: البقرة, آية: ٢٤

وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ... الآية ﴾[1]، فالأمر هنا موجه للمؤمنين بأن يقوا أنفسهم وأهليهم من الوقوع في هذه النار، والتعرض لعذابها بعصيانهم لربهم، وبعدهم عن طاعته.

يقول ابن عطية: " وقوله: "الناس" عموم معناه الخصوص فيمن سبق عليه القضاء بدخولها"[2]، ووافقه على ذلك الإمام القرطبي[3].

والسر وراء هذا التعبير هو المبالغة في التحذير من نار جهنم، والترهيب من دخولها، فصورها النظم الكريم في صورة من ابتلعت الناس كلهم عن بكرة أبيهم، حتى لم تدع منهم أحدا، فأصبحوا وقودا لها، يزيدون ضرامها، ويلهبون سعيرها. وهذا يدل على كبر حجمها، وسعة محيطها إلى درجة أنها أصبحت، وكأنها قد وسعت الناس أجمعين. فهذا التهويل لشأنها، والتفظيع لحالها من شأنه أن يجعل المخاطبين على وجل وإشفاق من دخولها، والتعرض لعذابها.

لذلك كان من المناسب تقديم الناس على الحجارة؛ لأنه الأليق بمقام التحذير من جهنم وبيان فظاعتها، فإن إلقاء الناس في جهنم، وجعْلهم

---

(١) سورة: التحريم, آية: ٦

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق/عبد السلام عبد الشافي محمد ٠ ط : الأولى١٤٢٢هـ الناشر : دار الكتب العلمية- بيروت. ١٠٧/١

(٣) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق:أحمد البردوني، ط:الثانية ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م دار الكتب المصرية ٢٣٥/١

وقودا لها منظر ترجف منه القلوب، وتقشعر منه الأبدان، وهذا بخلاف إلقاء الحجارة في النار.

وورد – أيضا– التعبير بلفظ (الناس) المراد به الخصوص في قوله – تعالى–: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾(١).

اختلفت أنظار المفسرين في بيان المقصود من قوله:"الناس أجمعين"، فمنهم من ذهب إلى أن الناس هنا مقصود بهم المؤمنون؛ لأنهم هم الذين يلعنون الكافرين على الحقيقة بسبب كفرهم وطغيانهم، وعلى هذا يكون التعبير بالناس من قبيل العام الذي أريد به الخاص.

يقول أبو القاسم بن جزي:" وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ : هم المؤمنون. فهو عموم يراد به الخصوص؛ لأن المؤمنين هم الذين يُعتد بلعنهم للكافرين"(٢).

ومن المفسرين من ذهب إلى أن التعبير بلفظ (الناس) يقصد به العموم المطلق، وأن كل الناس بالفعل يلعنون الكافرين. فالمؤمنون يلعنونهم في الدنيا، أما في الآخرة فالكفار يلعن بعضهم بعضا، كما قال –

(١) سورة: البقرة, آية: ١٦١

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمد بن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي الطبعة: الأولى – ١٤١٦هـ الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت ١٠٤/١

تعالى-: ﴿ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾[1].وبهذا يكون جميع الناس قد لعنوا الكافرين بالفعل[2].

ولكن عند النظر في هذين القولين يتبين أن الصواب هو القول الأول. والدليل على صحة هذا القول، أن الآية تظهر بوضوح أن الناس الذين يلعنون الكافرين هم قوم مغايرون لهم. فالآية جامعة بين صنفين: قوم استحقوا اللعنة بكفرهم، وقوم قاصدون للعنهم بسبب هذا الكفر، لكن لو اعتبرنا الكافرين داخلين في عموم الناس عندئذ يكون معنى الآية: إن الذين كفروا، وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله، والملائكة، والمؤمنين، والكافرين أجمعين. وهذا كما ترى فيه تكلف. فكيف يكون الكافرون ملعونين ولاعنين في الوقت نفسه؟.

بالإضافة إلى أن هناك أقواما في الدنيا، ليسوا بمؤمنين ولا بكافرين، كأهل الفترة الذين لم يصل إليهم رسول، ولم تبلغهم رسالة. فهؤلاء ليسوا معنيين بقضية الكفر والإيمان أصلا؛ لذلك لن يتأتى منهم لعنة على كافر، أو دعاء على مشرك. وهذا مما يؤكد أن لفظة (الناس) لا يراد بها العموم المطلق في كل زمان ومكان.

---

(١) سورة: العنكبوت, آية: ٢٥

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٢٦٢/٣، والنكت والعيون، للإمام أبى الحسن الماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) ، تحقيق: السيد عبد المقصود، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ٢١٥/١

وقد يقول قائل: إن التأكيد بلفظ (أجمعين) يدل على إرادة العموم المطلق، وهذا غير صحيح بدليل قوله– تعالى–:﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[1]. ومن المعلوم قطعا أن كثيرا من الناس لا يدخلون النار، كالأنبياء والصالحين.

وعلى هذا يكون التأكيد بلفظ (أجمعين) مرادا به تأكيد العموم المجازي، والمقصود به المؤمنون، وليس تأكيد العموم المطلق المستغرق لكافة الناس.[2]

وإذا كان الأولى بالصواب أن التعبير بالناس من قبيل العام المراد به خاص. فما السر وراء هذا التعبير؟

السر وراء ذلك هو تبشيع حال هؤلاء الكافرين، وبيان فظاعة كفرهم وجحودهم لرسالة ربهم، حتى لكأن الناس أجمعين قد أطبقوا على لعنهم، والتبرؤ منهم، وليس المؤمنون فقط. فكفرهم قد عظم أمره، ووضُح شره، حتى لكأنه قد أصبح معلوما لكافة الناس، مما استوجبوا بسببه اللعنة منهم.

ولأن المقام مقام تهويل لكفر هؤلاء الكافرين، فإن النظم الكريم لم يقتصر على لعنة الله – عز وجل– ولعنة الملائكة، بل أضاف إليها لعنة

(١) سورة: السجدة, آية: ١٣

(٢) ينظر:التفسير الكبير، للإمام فخر الدين الرازي، (المتوفى: ٦٠٦هـ)،الطبعة: الثالثة ١٤٢٠هـ ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت. ١٤٣/٤

المؤمنين؛ لكي يظهر مدى بشاعة هذا الكفر الذي استوجب كل هذه اللعنات، سواء أكان من عالم الأرض أم من عالم السماء[1] .

وقد رتب النظم الكريم هذه اللعنات بحسب أشدها، وأعظمها أثرا. فبدأ بلعنة الله – عز وجل- ثم ثنى بالملائكة، ثم ثلث بلعنة المؤمنين، كما أن هذا الترتيب مراعى فيه الأفضلية، وعظم المكانة.

ومن أسرار التعبير – أيضا- بلفظ (الناس) في هذه الآية، تصوير المؤمنين وكأنهم هم كل الناس، وغيرهم لا يعتد بهم بالنسبة لهم، وأن ما تفرق بين الناس من خصال الخير، ومحاسن الأخلاق قد اجتمع فيهم؛ لذلك هم القادة والناس تبع لهم؛ لذا كانت لعنتهم للكافرين كأنها لعنة الناس أجمعين، وهذا يدل على مدى فضلهم، وعظم مكانتهم عند ربهم.

ومما يدل على هذا الفضل أن الله – عز وجل- قرنهم بذاته الشريفة، وبملائكته الكرام في سياق واحد، فكلهم مجمعون على لعن هؤلاء الكفار. وكفى بذلك شرفا وفضلا.

ومن المواضع التي ورد فيها التعبير بلفظ (الناس) قوله- تعالى-: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[2].

(١) ينظر: تفسير المنار المؤلف: محمد رشيد رضا، سنة النشر: ١٩٩٠م، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٤٣/٢

(٢) سورة: آل عمران, آية: ١٧٣

سبب نزول هذه الآية أن أبا سفيان واعد النبي – ﷺ– بعد غزوة أحد أن يقاتله في العام المقبل، فلما حان الميعاد جَبُن أبو سفيان عن قتال المسلمين، فأراد أن يثبطهم عن الخروج إليه، فبعث إليهم من يخذِّلهم، ويخوفهم من قوة المشركين، فلما سمع المؤمنون ذلك منه قالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، ثم انقلبوا إلى ديارهم بلا قتال، ولم يمسسهم سوء، وقد عمهم الله – عز وجل – بنعمه وفضله (١).

فالمراد بالناس (الأولى): المبعوث من قبل أبي سفيان؛ لتثبيط المسلمين، والمراد بالناس (الثانية): أبو سفيان وكفار قريش.

وقد اختلف المفسرون في الذي بعثه أبو سفيان إلى المؤمنين؛ ليثبطهم على قولين: يوضحهما الإمام البغوي بقوله:" وأراد بالناس: نُعَيم بن مسعود، في قول مجاهد وعكرمة. فهو من العام الذي أريد به الخاص، كقوله– تعالى–:"أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ" [النساء: ٥٤] يعني: محمدا – صلى الله عليه وسلم – وحده، وقال محمد بن إسحاق وجماعة: أراد بالناس الرَّكْب من عبد القيس"(٢).

---

(١) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ دار النشر: دار القلم , الدار الشامية – دمشق، بيروت. صـ ٢٤٣

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، المؤلف : أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى : ٥١٠هـ)، المحقق : عبد الرزاق المهدي، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ٥٤٢/١ ، وركب عبد القيس: هم قوم قيل: أن أبا سفيان لقيهم، فأمرهم أن يذهبوا للمسلمين، ويثبطوهم.

ويبدو أن القول الأول هو الأقرب للصواب؛ لأنه مما تظاهر على القول به أهل السير– كما قال الإمام الطبري– والله أعلم(١).

وعلى هذا فالآية من قبيل التعبير بالعام الذي أريد به الخاص، والسر وراء هذا التعبير هو تصوير ما قاله نعيم بن مسعود من شائعات؛ لتثبيط النبي– ﷺ– وصحابته، وكأنها قد وصلت إلى مسامع الناس جميعا، فأخذوا يرددونها، ويتناقلونها فيما بينهم، حتى أصبحت من قبيل المتواتر عندهم، الذي لا يخالطه ريب، أو يداخله شك، وهذا يدل على قوة هذه الشائعات، وشدة حبكها، وعظم تأثيرها. ومع ذلك لم تضعف أمامها قلوبهم، أو يتزعزع بسببها يقينهم. ولا شك أن ثبات قلوب المؤمنين والحال هكذا يدل على قوة إيمانهم، وعظم توكلهم على ربهم(٢).

لذلك كان التعبير بلفظ الناس هنا في غاية البلاغة؛ لأنه صور بوضوح ما عليه المؤمنون من قوة الإيمان وعظم اليقين، تجاه عظم شائعات نعيم بن مسعود، وشدة تثبيطه. وهذا التصوير المبدع لا يتأتى لو عبر باسم نعيم ابن مسعود، أو صفة من صفاته.

ولم يكتف النظم الكريم بالتعبير بالناس للدلالة على عظم هذه الشائعات، بل أضاف إلى ذلك تأكيدها على لسان نعيم بن مسعود بأداتي التأكيد (إن)، (قد)، كما حذف المفعول للفعل (جمعوا)؛ للدلالة على العموم، حتى يشمل كل ما يتخيله الذهن من الأشياء التى تجمع وقت

---

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ١٩١/٤

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٠ للإمام البقاعى (المتوفى: ٨٨٥هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة. ١٢٩/٥

الحرب، حتى تتحقق الغلبة والنصر، مثل: جمع المقاتلين، وجمع ما يُستطاع من عدة الحرب وعتادها، وهذا يدل على اتخاذ نعيم بن مسعود كل ما في وسعه؛ لحبك هذه الشائعات وتضخيمها، والمبالغة فيها حتى يثبط المسلمين، ويخذِّلهم، ومع ذلك كانت استجابة المسلمين في منتهى القوة والثبات، والمسارعة إلى التسليم لله – عز وجل – والتوكل عليه، فقال تعالى: "فزادهم إيمانا". فالتعبير بالفاء أفاد التعقيب بلا مهلة، فبمجرد أن سمعوا الشائعات من نُعيم بن مسعود، حتى ترتب على ذلك زيادة في إيمانهم، وقوة في يقينهم، وتوكلهم على ربهم.

وقد حسُن التعبير أيضا بلفظ (الناس)؛ لما أفاده من جناس بين لفظة الناس الأولى ، والثانية. فالأولى يُقصد بها نعيم بن مسعود، والثانية يُقصد بها كفار قريش، ولا شك أن هذا الجناس له وقع جميل على السمع، وأثر طيب على النفس، هذا بالإضافة إلى أثره في إعمال العقل، وإثارة الفكر للوصول إلى المعنى الصحيح لكل منهما.

وقد ورد التعبير – أيضا– بلفظ (الناس)، والمراد به الخصوص في قوله– تعالى–: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ... الآية ﴾[1].

(١) سورة: النساء, آية: ٥٤

ذهب كثير من المفسرين، وعلى رأسهم ابن عباس- رضي الله عنه- إلى أن المقصود بالناس هنا هو محمد – ﷺ- وذهب بعضهم إلى أن المقصود بالناس هو الرسول- ﷺ- ومن معه من المؤمنين(١).

وعلى القول بأن المقصود به هو محمد – ﷺ- يكون هذا التعبير من قبيل العام المراد به خاص، والآية تحتمل كلا الوجهين، وإن كان الأقرب للصواب أن المقصود به محمد – ﷺ- ؛ لأنه هو المحسود أصالة من اليهود على نبوته، كما أن ابن عباس- وهو ترجمان القرآن- ذهب إلى هذا القول، وهذا مما يعطيه قوة ورجحانا على القول الآخر. والله أعلم .

والسر وراء التعبير بالناس عن النبي- ﷺ- ؛ للمبالغة في مدحه والثناء عليه. فهذا التعبير صوّره وكأنه وحده يعدل الناس كلهم، وأنه بقوة إيمانه، وعظم يقينه، وحسن أخلاقه، وكمال شمائله قد فاق الناس أجمعين، فلم يعد لهم ذكر بعد ذكره، ولم يبق لهم وجود بالنسبة لوجوده، حتى إذا ذكرت لفظة (الناس) انصرفت له لا لهم، كل ذلك على سبيل المبالغة(٢).

كما حسُن التعبير بلفظ (الناس) في هذا المقام؛ لإفادته التعريض بهؤلاء اليهود، أي: كيف لكم أيها اليهود أن تحسدوا محمدا- ﷺ- وقد اجتمع فيه ما تفرق في الناس من محاسن الأخلاق، وكريم الشمائل؟ إن

(١) ينظر: تفسير القرآن الكريم، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد السمعاني (المتوفى: ٤٨٩هـ)،المحقق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، الناشر: دار الوطن، الرياض. ١/٤٣٦-٤٣٧

(٢) ينظر: التفسير الكبير ١٠/١٠٤

هذا يدعو إلى العجب. لذلك كان الاستفهام في قوله: "أم يحسدون" مقصود به التعجب من شأنهم، مع إفادته – أيضا– الإنكار عليهم فيما ذهبوا إليه من هذا الحسد(١).

وقد ورد مثل هذا التعبير في قوله– تعالى–: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾(٢).

فقد اختلف– أيضا– المفسرون في المراد من (الناس) على قولين:

الأول: سائر الناس دون قريش، حيث كانت قريش لا تقف بعرفة؛ لأنها ليست من الحرم، وكانت تقف بالمزدلفة، فأمرهم الله – عزو جل– أن يقفوا بعرفة، ثم يفيضوا منها كما يفيض الناس(٣).

الثاني: نبي الله إبراهيم عليه السلام.

والآية تحتمل كلا القولين، بل إن الإمام الطبري أرد أن يرجح القول الثاني؛ لعدة أدلة ذكرها، وما منعه إلا كثرة القائلين بالقول الأول، فتراه يقول:" ولولا إجماع من وصفتُ إجماعَه على أن ذلك تأويله [يعني : الإجماع على القول الأول]. لقلت: أولى التأويلين بتأويل الآية ما قاله

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، للشيخ / محمد الطاهر بن عاشور، سنة النشر:١٩٨٤هـ الدار التونسية للنشر – تونس ٨٨/٥

(٢) سورة: البقرة, آية: ١٩٩

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)،المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الطبعة: الأولى١٤١٨هـ الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٣١/١

الضحاك، من أن الله عنى بقوله:" من حيث أفاض الناس"، من حيث أفاض إبراهيم." (١)

ثم قال:" فإن قال لنا قائل: وكيف يجوز أن يكون ذلك معناه، و(الناس) جماعة، و(إبراهيم)- صلى الله عليه وسلم- واحد، والله- تعالى ذكره- يقول:" أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ "؟ قيل: إن العرب تفعل ذلك كثيرا، فتدل بذكر الجماعة على الواحد. ومن ذلك قول الله-عز وجل-: "ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ " [آل عمران: ١٧٣] والذي قال ذلك واحد، وهو فيما تظاهرت به الرواية من أهل السير نعيم بن مسعود الأشجعي"(٢).

والسر البلاغى هو ما سبق ذكره في الآية السابقة، وهو تصوير نبي الله إبراهيم- عليه السلام- وكأنه بمفرده يعدل الناس أجمعين، وذلك لما اجتمع فيه ما تفرق في سائر الناس، من الفضائل والمكارم، وهذا المعنى يشبه قوله- تعالى-: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾(٣).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ١٩٠/٤

(٢) المصدر نفسه ١٩١/٤

(٣) سورة: النحل, آية: ١٢٠

ومن الآيات التي ورد فيها التعبير بلفظ (الناس)، والمراد به الخصوص قوله- تعالى-: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[1].

فالناس هنا لا يقصد بهم العموم، وإلا ترتب على ذلك أن يكون موسى- عليه السلام- هو الوحيد الذي وقع عليه الاصطفاء بالنبوة والرسالة من دون سائر البشر، وهذا بالطبع مخالف للحقيقة وواقع الأمر، فهناك – أيضا- رسل كرام قد اصطفاهم الله- عز وجل – بالنبوة، وفضلهم بالرسالة. وعلى هذا فالناس مقصود بهم كل من هم دون الرسل في كل زمان ومكان.

يقول أبو القاسم بن جزي:" ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي : هو عموم يراد به الخصوص، فإن جميع الرسل قد شاركوه في الرسالة"[2].

ومن العلماء من ذهب إلى أن الناس مراد بهم المعاصرون لموسى- عليه السلام- أي: أن الله – عز وجل- خصه دونهم بالنبوة والرسالة، وعلى هذا التوجيه – أيضا- يكون الناس من قبيل العام المراد به خاص، وهم أهل زمان موسى عليه السلام.

يقول الزمخشري:"ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ: اخترتك على أهل زمانك، وآثرتك عليهم برسالاتي – وهي أسفار التوراة- وبكلامي ... فإن قلت:

(١) سورة: الأعراف, آية: ١٤٤

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ٣٠١/١ ، وينظر: المحرر الوجيز ٤٥٢/٢

كيف قيل: اصطفيتك على الناس، وكان هارون مصطفى مثله ونبيا؟ قلت: أجل، ولكنه كان تابعا له وردْءًا ووزيرا. والكليم: هو موسى عليه السلام، والأصيل في حمل الرسالة"(١).

وسواء أكان التوجيه هذا أم ذاك، فإن السر البلاغي وراء هذا التعبير هو المبالغة في بيان إكرام الله – عز وجل– لموسى– عليه السلام– وإظهار مدى تفضله عليه، حتى لكأنه هو الوحيد من بين سائر البشر الذي خُص بالنبوة ، وفُضل بالرسالة.

والمقام يتطلب هذه المبالغة؛ لأنه مقام امتنان من الله – عز وجل– على موسى، ومن المعروف أن المبالغة تَحسُن في الشيء الممتن به.

كما أن هذه الآية وردت عقب طلب موسى–عليه السلام– رؤية ربه – عز وجل– ثم صعْقه بعدما تجلى ربه للجبل، وقد شعر موسى أنه أذنب في حق ربه لطلبه رؤيته، فقال: ﴿ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢) ، فهذا كله جعل من المناسب أن يطمئن الله– عز وجل– قبله، ويسكّن فؤاده بأن يظهر له مدى تفضله عليه، وعظيم إكرامه له، فصور له هذا الإكرام، وكأنه اصطفاه على سائر البشر أجمعين بالرسالة.

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للإمام الزمخشري، (المتوفى: ٥٣٨هـ) ط : الثالثة ١٤٠٧هـ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت. ١٥٧/٢ ، وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي (المتوفى: ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت. ٢٧٠/٣

(٢) سورة: الأعراف, آية: ١٤٣

وقد أكد هذا الاصطفاء بأداة التأكيد(إن)، كما عبر بصيغة الجمع (رسالاتي)، بدل صيغة المفرد (رسالتي)؛ ليكون أبلغ في بيان مدى إكرام الله – عز وجل– له بهذه الرسالة. والرسالات: مقصود بها أسفار التوراة، فالجمع هنا باعتبار تعدد هذه الأسفار، ولو عبر بالمفرد (رسالة) على اعتبار أنها رسالة من جنس الرسالات التي بُعث بها الأنبياء؛ لصح هذا التعبير، مثل: قوله – تعالى–:﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ... الآية ﴾[1]، ولكن الجمع أولى؛ لأنه الأوفق بمقام الإكرام، والأنسب له؛ لأنه يصور رسالة موسى – عليه السلام– في صورة عدة رسالات قد جُمعت في رسالة واحدة.

التعبير بلفظ (الإنسان).

ورد التعبير بلفظ الإنسان مرادا به الخصوص في مواضع عديدة من القرآن الكريم، فمن هذه المواضع قوله– تعالى–:﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ.. الآية ﴾[2]، وقوله: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى

(١) سورة: الأعراف, آية: ٧٩

(٢) سورة: يونس, آية: ١٢

ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴾[1]، وغيرهما من آيات القرآن الكريم[2].

فالإنسان في هذه المواضع لا يقصد به عموم الجنس البشري؛ لأن هناك من البشر من لا يتصف بهذه الصفات القبيحة، وهم الأنبياء والصالحون من أتباعهم؛ لذلك التعبير بالإنسان هنا من قبيل العام المراد به خاص[3].

وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن الإنسان في هذه المواضع يقصد به الكافر، لكن الأصح أنه يقصد به كل من يتصف بهذه الصفات، حتى ولو كان مسلما[4].

وقد عبر القرآن الكريم بهذا التعبير؛ لبيان كثرة من يقع في هذه الصفات المذمومة، والأفعال القبيحة. فالأنبياء والصالحون مع أنهم لا يتصفون بهذه الصفات، ولكنهم لقلتهم لا يعتد بوجودهم بالنسبة إلى كثرة

---

(١) سورة: الإسراء, آية: ٨٣

(٢) مثل قوله – تعالى-: ﴿ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴾ [فصلت: ٥١]، وقوله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ [الإنفطار: ٦]، وقوله: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴾ [العلق: ٦-٧]، وغيرها كثير في القرآن الكريم.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤٣٨/٥

(٤) ينظر: البحر المحيط ، لأبى حيان محمد بن يوسف الأندلسى، (المتوفى: ٧٤٥هـ) تحقيق/ صدقي محمد جميل، ط :١٤٢٠هـ، الناشر: دار الفكر – بيروت. ٣٠/٦

من يتصف بهذ الصفات، حتى لكأن الأرض قد خلت منهم، ولم يبق إلا هؤلاء فكأنهم هم كل البشر، على سبيل المبالغة في إظهار كثرتهم.

وهناك غرض آخر وراء هذا التعبير، وهو إظهار أن هذه الصفات المذمومة من طبيعة الإنسان، ومركوزة في فطرته، فهذا من شأنه أن يجعل كل إنسان يفتش في دخيلة نفسه، ومكنون ضميره عن هذه الصفات حتى يتخلص منها، ويبذل الجهد في البعد عنها، كما فعل الأنبياء والصالحون. فهذا العموم في التعبير له أثر كبير في دفع كل مخاطب، أن لا يغتر بنفسه وبعمله، ويظن أنه بمنأى عن الوقوع في هذه الصفات المذمومة، بل عليه أن يظل متيقظا لمكائد النفس، وأحابيل الشيطان، حتى لا يوقعه فيها وهو لا يدري[1].

وقد دلل القرآن الكريم على أن هذه الصفات من طبيعة البشر، بالتعبير بالفعل(مس)، فمبجرد أن يصيب الإنسان مس خفيف من الضر، فإنه سرعان ما ينسى ربه، ويصيبه اليأس والقنوط، وهذا يدل على أن الإنسان يستجيب لطبعه، ويتماشى مع فطرته إلا من عصم الله عز وجل.

كما عبر النظم الكريم بأداة الشرط (إذا)؛ لإفادة تحقق وقوع هذه الصفات عند أكثر البشر.

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٩/٢٥

التعبير بلفظ (البشر).

ورد ذلك في قوله- تعالى-:﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾(١)، حيث إن المقصود بالبشر في هذه الآية هو غلام رومي كان نصرانيا، وكان يعيش في مكة، فزعم كفار مكة أنه كان يعلم محمدا- ﷺ- ويلقنه القرآن، وهذا الغلام هو المقصود بقوله- تعالى-: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾(٢)، وعلى هذا فالتعبير بـ(البشر) من العام المراد به خاص، وهو هذا الغلام(٣).

والسر وراء هذا التعبير هو التشنيع على النبي محمد- ﷺ- والمبالغة في إظهار عدم صدقه – وحاشاه أن يكون كذلك- في أن القرآن كلام الله- عز وجل- فصور كفار مكة هذا القرآن، وكأنه أقوال تلقفها النبي- ﷺ- من سائر البشر، وليس من الغلام الرومي فقط. إمعانا في التشهير به، والتشنيع عليه.

ومن بلاغة هذا التعبير- أيضا- التهوين من شأن القرآن الكريم، والتنقص من مكانته، حيث جعله كفار مكة أقوالا عادية اعتاد البشر على

---

(١) سورة: المدثر, آية: ٢٥

(٢) سورة: النحل, آية: ١٠٣

(٣) ينظر: النكت والعيون ١٤٣/٦، وجامع البيان في تأويل القرآن ٢٩٨/١٧

التفوه بها، فهي من جنس كلامهم، وليس فيها من الإعجاز ما يدعيه النبي محمد ﷺ.

كما عبروا عن هذا الافتراء بأسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء، حيث قصروا القرآن الكريم على كونه من كلام البشر، لا يتعداه إلى أن يكون من كلام الله؛ لكي يؤكدوا به زعمهم الباطل، وليكون أبلغ في الرد على من يعتقد من المؤمنين أن القرآن كلام الله- عز وجل- حقا.

المبحث الثاني

من بلاغة التعبير بالعموم المستفاد من (ال)

الداخلة على الجمع

التعبير بلفظ (العالمين).

ورد هذا التعبير في قوله- تعالى-:﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1].

فلفظ (العالمين) في هذه الآية لا يقصد به العموم المطلق؛ لأنه يترتب على ذلك أن يكون بنو إسرائيل أفضل الأمم على الإطلاق، ولكن هذا غير صحيح؛ لأن أفضل الأمم هي أمة محمد- ﷺ- بدليل قوله- تعالى-: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ... الآية ﴾[2]، وبدليل إجماع علماء المسلمين على ذلك، وعلى هذا فالمقصود بلفظ (العالمين) خاص، وهو أهل زمانهم، فبنو إسرائيل فضلهم الله- عز وجل- على أهل زمانهم فقط، وليس على أهل كل زمان.

قال ابن قتيبة:" وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ : أي، على عالمي زمانهم. وهو من العام الذي أريد به الخاص"[3].

---

(١) سورة: البقرة, آية: ٤٧

(٢) سورة: آل عمران, آية: ١١٠

(٣)غريب القران، صـ ٤٨ ، وينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٢٤/١

وقد قصد النظم الكريم هذا التعبير؛ لأنه في مقام امتنان الله- عز وجل- على بني إسرائل، وإظهار مدى فضله عليهم؛ لذلك كان من المناسب في هذا المقام، المبالغة في بيان هذا الفضل، وتعظيم هذا الإكرام، بأن صور تفضيلهم، وكأنه على كل الأمم الإنسانية، وليس الأمم التي كانت في زمانهم.

ولعظم هذا التفضيل، وبيان أهميته فإن النظم الكريم أفرده بالذكر، مع أنه داخل في مفهوم النعمة في قوله: " اذكروا نعمتي"، وهذا الإفراد من قبيل ذكر الخاص بعد العام؛ ليكون أبلغ في الامتنان بنعمة هذا التفضيل.

ورد التعبير بلفظ (العالمين) أيضا في قوله- تعالى-: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(١).

التعبير بالعالمين في هذه الآية مثل سابقتها من قبيل العام المراد به خاص، لكن في هذه الآية بين الله- عز وجل- بعضا من سبب هذا التفضيل، وهو أنه جعل فيهم أنبياء، وجعلهم ملوكا.

فقوله: "وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا " يحتمل أن يكون من قبيل العام الذي أريد به خاص؛ لأن بني إسرائيل لم يكونوا كلهم ملوكا على الحقيقة؛ لذلك عبر عنهم بأن جعلهم ملوكا على جهة العموم، والمراد به خصوص الملوك الذين حكموهم.

(١) سورة: المائدة, آية: ٢٠

كما يحتمل أن يكون من قبيل التشبيه البليغ، والتقدير: وجعلكم كالملوك في العزة والمنعة والقوة.(١)

والأبلغ من هذين التوجيهين أن يكون من قبيل العام الذي أريد به خاص؛ لأنه على هذا التوجيه هم ملوك بالفعل على سبيل المبالغة، ولكن لو كان من قبيل التشبيه، فهم ليسوا ملوكا، ولكنهم يشبهون الملوك. فبينهما فرق كبير في المعنى.

بالإضافة إلى أن حمله على أنه من قبيل العام المراد به خاص، يفيد معنى الكثرة. فلكثرة الملوك فيهم صار كأن كل فرد منهم أصبح ملكا بالفعل، وهذا المعنى لا يتأتى لو حملت الآية على التشبيه. لأن قصارى ما يفيده التشبيه أنهم كالملوك في بعض خصائصهم كالعزة والقوة والغنى، وهذا المعنى لا يشير إلى الكثرة، لا من قريب ولا من بعيد. (٢)

ونلحظ أن النظم الكريم عند التفضل بنعمة النبوة قال: "وجعل فيكم أنبياء"، ولم يقل: وجعلكم أنبياء، كما قال: وجعلكم ملوكا.

والسر وراء ذلك هو عظم منصب النبوة، وعزة مطلبها، وصعوبة منالها، فهي فيض إلهي لا يناله أي أحد، ولا تُنال بالتمرن والاكتساب، وهذا بخلاف المُلْك الذي قد يناله أي إنسان بمحض ذكائه، وكثرة سعيه

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١٦١/٦

(٢) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ٢٧٦/٣

واجتهاده؛ لذلك لا يليق أن تنسب النبوة إلى أي أحد، ولو على سبيل التجوز. ذكره أبو السعود. (١)

وقد ورد التعبير بلفظ (العالمين) أيضا في قوله- تعالى-:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٢)

فهذه الآية تشبه الآيتين السابقتين، ولكن المقصود بالاصطفاء هنا هم: آدم، ونوح، وإبراهيم، وعمران(٣). وهذا على قول من قال: إن كلمة(آل) يُقصد بها الشخص نفسه. كما قال- تعالى-: ﴿ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ ﴾(٤). وقيل المقصود بالاصطفاء هم: آدم، ونوح، والأنبياء من ذرية إبراهيم، والأنبياء من ذرية عمران. (٥)

وعلى كلا القولين التعبير بالعالمين من قبيل العام المراد به خاص؛ لأن هناك كثيرا من الأنبياء الذين اصطفاهم الله-عز وجل- لم يُذكروا في الآية، وليسوا من ذرية إبراهيم أو عمران، مثل: إدريس، وهود، وصالح،

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم ٢٣/٣

(٢) سورة: آل عمران، آية: ٣٣

(٣) عمران: يحتمل أن يكون أبا موسى-عليه السلام-، ويحتمل أن يكون أبا مريم، وهذا هو الأقرب لأن الآيات وردت في قصة مريم ابنة عمران.
ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٦٣/٤

(٤) سورة: البقرة, آية: ٢٤٨

(٥) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن ٤٣١/١ ، وزاد المسير ٢٧٤/١

وغيرهم من الأنبياء الذين لم يقص الله- تعالى- علينا قصصهم في القرآن الكريم.

وعلى هذا فالمقصود بالآية اصطفاء كل نبي من الوارد ذكرهم على عالمي زمانه.(١) والسر البلاغي- كما سبق ذكره- هو المبالغة في بيان فضلهم، ورفعة شأنهم عند ربهم.

ومما ورد فيه التعبير بلفظ (العالمين) قوله- تعالى-: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٢).

وقد اختلف المفسرون في معنى هذه الآية على قولين(٣):

الأول: أنهم يأتون الذكور، ويدعون الإناث دون باقي العالمين، سواء أكانوا بشرا أم حيوانات. أي: أنهم انفردوا بهذه الفعلة القبيحة، دون سائر العالمين على وجه الأرض. ويؤيد هذا القول قوله- تعالى-:﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٤)

(١) ينظر: تفسير القرآن، للسمعاني ٣١١/١ ، والتفسير الكبير ١٩٩/٨

(٢) سورة: الشعراء, آية: ١٦٥

(٣) ينظر: التفسير الكبير ٥٢٦/٢٤ ، وفتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الطبعة: الأولى ١٤١٤ هـ، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت. ١٣١/٤

(٤) سورة: الأعراف, آية: ٨٠

الثاني: أنهم يأخذون الذكور الغرباء المارين بهم، فيفعلون بهم هذه الفاحشة بالغصب والقوة. وعلى ذلك، المقصود بالعالمين: هم الغرباء. ومما يؤيد هذا القول، أن القرآن الكريم سجل عليهم أنهم يقطعون السبيل، فقال- تعالى-: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ... الآية ﴾[1]، فقطع السبيل معناه: فعل الفاحشة بالغرباء بالقوة[2]، كما يؤيد هذا القول ذهاب قوم لوط إليه؛ ليفعلوا الفاحشة بضيوفه من الملائكة، الذين أتوا إليه في صورة بشر، ولما نهاهم لوط عن ذلك قالوا له :﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[3].

وعلى هذا القول، يكون لفظ (العالمين) من قبيل العام المراد به خاص، وهم الغرباء[4].

والقولان- كما هو ظاهر- متكافئان، وإن كان الأقرب أنه من قبيل العام المراد به خاص، والسر البلاغي لهذا التعبير هو تبشيع حال هؤلاء المجرمين، وإظهار شناعة ما يفعلونه بالغرباء من ترهيبهم، وفعل الفاحشة بهم، حتى لكأنهم واقفون بالمرصاد لكل ذكر على وجه الأرض يترقبون مجيئه، ويتلهفون لفعل الفاحشة به، كما فعلوا ذلك مع أضياف لوط عليه السلام.

---

(١) سورة: العنكبوت, آية: ٢٩

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٢٨/٢٠

(٣) سورة: الحجر, آية: ٧٠

(٤) ينظر: البحر المحيط ١٨٣/٨

ومن بلاغة هذا التعبير- أيضا- أنه صور هؤلاء القوم، وكأنهم لا يتركون أي ذكر من أي عالم سواء أكان من عالم البشر أم من عالم الحيوانات. فالشهوة أعمت بصيرتهم، وطمست فطرتهم، حتى أصبحوا لا يفرقون بين إنسان أو حيوان، على سبيل المبالغة في تقبيح حالهم، والتشنيع عليهم؛ لذلك أتي الاستفهام (أتأتون) للتعجب من حالهم، والإنكار عليهم في إتيانهم لهذه الفاحشة النكراء.

التعبير بلفظ (اليهود).

ورد ذلك في قوله- تعالى-: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ... الآية ﴾[1]، فهذا القول الشنيع لم يقل به كل اليهود، وإنما قاله أحد أحبارهم، وهو فنحاص بن عازوراء.

قال الإمام البغوي:" قال ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة: إن الله- تعالى- كان قد بسط على اليهود، حتى كانوا من أكثر الناس مالا، وأخصبهم ناحية، فلما عصوا الله في محمد- صلى الله عليه وسلم- وكذبوا به كف الله عنهم ما بسط عليهم من السعة، فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء: يد الله مغلولة، أي: محبوسة مقبوضة عن الرزق، نسبوه إلى البخل"[2].

وعلى هذا، فالتعبير باليهود من قبيل العام المراد به خاص، وهو فنحاص بن عازوراء.

---

(١) سورة: المائدة, آية: ٦٤

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن ٢/٦٦-٦٧

والغرض من وراء هذا التعبير هو إظهار عامة اليهود، وكأنهم قالوا هذا القول، ورضوا به؛ لأنهم لم ينكروا على فنحاص ما قاله، ولم يتخذوا حياله موقفا يردعه عن افترائه على الله- عز وجل- بهذا القول، فهذه السلبية في عدم نهْي فنحاص عن قوله، جعلهم وكأنهم مشاركون له في مقولته، وراضون عنها. (١)

إن هذا التعبير البلاغي الرائع يشير إلى وجوب تكاتف المجتمع في الوقوف ضد كل من أراد أن يشيع فيه منكرا، أو يرسخ فيه باطلا، وإذا لم يفعلوا ذلك، عندها سيكونون مشاركين لأهل الباطل بسكوتهم وتخاذلهم، وبذلك يعمهم العقاب جميعا، أهل الباطل بباطلهم، والساكتين عنه بسكوتهم.

و"يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ": كناية عن البخل، ومنع العطاء. وهذا يدل على خبث اليهود، وفظاعة مقولتهم في حق الله- عز وجل- فهم لم يكتفوا بوصفه بالبخل- وحاشاه- بل صوروه في صورة من غلت يده إلى عنقه، فلا تستطيع إنفاقا، ولا بذلا. (٢)

وقد ورد مثل هذا التعبير في قوله- تعالى-: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ... الآية ﴾(٣).

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٣٥/٢ ، وإرشاد العقل السليم ٥٨/٣

(٢) ينظر: نظم الدرر ٢١٨/٦

(٣) سورة: التوبة, آية: ٣٠

فعامة اليهود لم يقولوا هذا القول، وإنما قاله بعضهم، يقول الإمام القرطبي:" قوله تعالى: "وقالت اليهود"، هذا لفظ خرج على العموم ومعناه الخصوص؛ لأن ليس كل اليهود قالوا ذلك. وهذا مثل قوله- تعالى-:" ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ " [آل عمران: ١٧٣]، ولم يقل ذلك كل الناس."(١)

وسر هذا التعبير هو ما سبق ذكره في الآية السابقة

ويعد التعبير بعموم قوم والمراد به بعضهم من الأساليب الشائعة في القرآن الكريم، وقد سبق في التمهيد بيان أنه من الجائز حمل هذا التعبير على أنه من قبيل العام المراد به خاص، أو حمله على أنه من المجاز العقلي(٢).

ومن مواضع هذا التعبير في القرآن الكريم قوله- تعالى-: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ... الآية ﴾(٣).

ذكر الزمخشري أن (الاتخاذ) في هذا الآية يمكن حمله على معنيين(٤):

(١) الجامع لأحكام القرآن ٨/١١٦-١١٧ ، وينظر: فتح القدير ٢/٤٠٢

(٢) ينظر: صـ ١٣ من البحث

(٣) سورة: الأعراف, آية: ١٤٨

(٤) ينظر: الكشاف ٢/١٥٩

الأول: صُنْع العجل من الحُلي، ومن المعروف أن الذي صنع العجل من حلي بني إسرائيل هو السامري، قال- تعالى-: ﴿ فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴾[1]، لكن القرآن الكريم نسب إلى كل قوم موسى- عليه السلام- المشاركة في صنع هذا العجل؛ لذلك يعد هذا التعبير من قبيل العام المراد به خاص، وهو السامري.

الثاني: اتخاذ هذا العجل إلها ومعبودا، والذي عبد العجل بعض قوم موسى- عليه السلام- وليس كلهم؛ لأن هارون- عليه السلام- لم يعبد هذا العجل، وكذلك كثير من الصالحين من قومه، وعلى هذا يكون التعبير بقوم موسى- أيضا- من قبيل العام والمراد به خاص، وهم الذين عبدوا العجل[2].

وسواء أكان هذا المعنى أم ذاك، فإن السر البلاغي هو تصوير قوم موسى، وكأنهم كلهم قد صنعوا هذا العجل، واتخذوه إلها؛ لأنهم سكتوا عن هذه الفتنة، ولم يقفوا ضدها لإبطالها، ومنع الناس من الوقوع فيها.

ومن بلاغة هذا التعبير- أيضا- المبالغة في عظم هذه الفتنة، وبيان شدتها، حتى لكأنها قد فتنت قوم موسى عن بكرة أبيهم، فلم تبق واحدا منهم، إلا وقد نالت منه، وهي بالفعل قد كانت فتنة عظيمة جدا، إلى درجة أن موسى- عليه السلام- ألقى ألواح التوراة غضبا من قومه؛ لما علم

(١) سورة: طه, آية:٨٧- ٨٨

(٢) ينظر: التفسير الكبير ٣٦٨/١٥

بذلك، كما أخذ برأس أخيه هارون زجرا له وتوبيخا على سكوته، كما هو معلوم من قصته عليه السلام.

ومن مواضع هذا الأسلوب قوله- تعالى-: ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾(١).

فالذي كذب بالقرآن الكريم ليس عامة قومه، وإنما بعضهم؛ لأن هناك من صحابة النبي- ﷺ- من آمن به، وصدقه(٢).

وإنما عبر النظم الكريم بهذا التعبير مبالغة في بيان عظم هذا التكذيب؛ حتى لكأن إيمان من آمن به من قومه، لا يعد شيئا بالنسبة إلى من كذب به، ورفض الامتثال لأوامره. والمقام يتطلب هذه المبالغة؛ لأنه مقام تسلية لرسول الله- ﷺ- وتصبير له على تكذيب قومه له.

ومما أظهر عظم هذا التكذيب في هذا المقام، الإضافة في قوله:"قومك". فهذه الإضافة لفتت الانتباه إلى أن هذا التكذيب إنما هو لهذا النبي الذي عاش وسطهم، فهم قومه الذين خبروا أحواله، وعلموا أخلاقه، ومع ذلك كذبوه، وكفروا بدينه. فهذا المعنى لا يتأتى لو تم التعبير بغير هذه الإضافة(٣).

كما أن التعبير بقوله:"وهو الحق" قد أظهر- أيضا- شناعة هذا التكذيب، وقد صاغ النظم الكريم هذه الجملة بأسلوب القصر عن طريق

---

(١) سورة: الأنعام, آية: ٦٦

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن، صـ ٤٨٥

(٣) ينظر : إرشاد العقل السليم ١٤٦/٣

تعريف الطرفين؛ لبيان أن هذا الدين مقصور على الحق لا يتعداه إلى غيره من أي نوع من أنواع الباطل؛ للدلالة على أنه الحق المطلق الذي لا يتطرق إليه أدنى شك أو ريبة.

ومن مواضع هذا الأسلوب قوله- تعالى- ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ ... الآية ﴾[1].

فالذي عقر الناقة أشقى القوم، كما قال- تعالى-: ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴾[2]. قيل :اسمه قدار بن سالف[3]، ولكن لما رضي قومه بهذا الأمر، وشجعوه عليه نسبه إليهم جميعا[4].

ومن بلاغة هذا التعبير بيان بشاعة هذه الفعلة، وإظهار شناعتها؛ لأنه صور القوم كلهم، وقد اجتمعوا على هذا الناقة يطعنونها بسيوفهم، حتى أزهقوا روحها، وقطعوا أوصالها، وتركوها أشلاء ممزقة، فهذه الصورة البشعة صورت مدى ما وصل إليه هؤلاء القوم من عتو واستكبار.

ومثله ما جاء في قوله- تعالى-: ﴿ وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٦٧ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴾[5]

(١) سورة: الأعراف, آية: ٧٧

(٢) سورة: الشمس, آية: ١٢

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٤١/٧

(٤) ينظر: الكشاف ١٢٣/٢

(٥) سورة: الحجر, آية: ٦٧-٦٨

فقد عبر النظم الكريم بعموم أهل المدينة، والمراد بعضهم؛ لأنه من المستبعد جدا أن يجتمع أهل المدينة عن بكرة أبيهم؛ للذهاب إلى دار لوط- عليه السلام- لفعل الفاحشة بأضيافه، فكيف رأوهم؟ أو علموا بخبرهم؟ مع اتساع المدينة وكثرة أهلها؛ لذلك المقبول من جهة العقل أن يكون المراد بعض أهل المدينة.

وسر هذا التعبير هو رضا قوم لوط بما فعله بعضهم؛ لذلك نسب هذا الفعل إلى الجميع، كما أن هذا التعبير يبين مدى دناءة قوم لوط وحقارتهم، حيث صورهم في صورة المتلهفين لفعل الفاحشة، والمتعطشين لها، حتى إذا ما سمعوا بقدوم أضياف قوم لوط، طار الخبر بينهم كالشرر، وفي لمحة عين كان الكل مجتمعا عن بكرة أبيهم أمام دار لوط الصغيرة؛ لقضاء وطره من الشهوة الحرام. فهذا التصوير المبدع؛ للمبالغة في إظهار مدى ما وصل إليه قوم لوط من دناءة وحقارة.

وقد آثر النظم الكريم التعبير بـ(أهل المدينة) دون (قوم لوط)؛ ليكون أبلغ في إظهار حقارة هؤلاء القوم، وبشاعة فعلتهم، فلم تمنعهم سعة المدينة، وتنائي أطرافها، وكثرة مشاغلها من أن يأتوا مسرعين؛ لفعل هذه الفاحشة. كما أن هذا التعبير أظهر كثرة من يفعلون الفاحشة من قوم لوط. فلك أن تتخيل أهل مدينة كاملة قد استشرت فيهم هذه الفعلة المنكرة، إن هذا لشيء عجيب.

التعبير بلفظ (الملوك):

وذلك في قوله- تعالى-: ﴿ قَالَت إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾(١).

فلفظ (الملوك) في هذه الآية لا يقصد به العموم؛ لأن هناك بعض الملوك الذين اتصفوا بصفة العدل والرحمة، فهم إذا فتحوا مدينة لا يفسدونها، ولا يستبيحون أهلها، فيهتكون أعراضهم، ويسفكون دماءهم، ومن هؤلاء نبيا الله داود وسليمان-عليهما السلام- وغيرهما مما لا يخلو منه زمان ولا مكان.

وسر هذا التعبير هو بيان كثرة فساد الملوك، والمبالغة في إظهار بطشهم، وشدة عدوانهم، وأن هذه هي السمة الغالبة عليهم، حتى لكأنه لا يوجد في الوجود ملك عادل رحيم، وأن ما وجد منهم فأثره لا يكاد يذكر بجانب ما يفعله الملوك الطواغيت من ظلم وعدوان.

والمقام يستدعي هذا التعبير؛ لأنه مقام تحذير من ملكة بلقيس لرجال دولتها من محاربة سليمان- عليه السلام-؛ لذا أكدت كلامها بأداة التأكيد (إن)، كما عبرت بحرف الجر (إذا)؛ لبيان أن استيلاء الملوك على القرى، وإفسادهم فيها أمر متحقق الوقوع، ثم زادت في هذا التحذير بالطباق بين قوله(أعزة – أذلة)؛ حتى تؤكد لهم صحة نظرتها، وشدة مخاوفها من المصير المؤلم إذا حاربوا سليمان عليه السلام.

(١) سورة: النمل, آية: ٣٤

التعبير بلفظ (الملائكة)

ورد هذا التعبير في قوله – تعالى -: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ ... الآية ﴾[1].

فمن المعلوم أن أمين الوحي هو جبريل- عليه السلام- فهو الذي ينزل بهذا الوحي على رسل الله وأنبيائه؛ لذلك المقصود بالملائكة في هذه الآية هو جبريل، فهو من قبيل التعبير بالعام المراد به خاص[2].

كما ورد هذا التعبير- أيضا- في قوله- تعالى-:﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ... الآية ﴾[3]؛ لأن الذي ناداه جبريل وحده .

قال الإمام البغوي:" وأراد بالملائكة هاهنا جبريل- عليه السلام- وحده كقوله- تعالى- في سورة النحل: ينزل الملائكة [النحل: ٢] ، يعني: جبريل بالروح والوحي، ويجوز في العربية أن يخبر عن الواحد بلفظ الجمع، كقولهم: سمعت هذا الخبر من الناس، وإنما سمع من واحد، نظيره قوله تعالى: الذين قال لهم الناس [آل عمران: ١٧٣] ، يعني: نعيم بن مسعود، إن الناس، يعني: أبا سفيان بن حرب، وقال المفضل بن سلمة: إذا كان القائل رئيسا يجوز الإخبار عنه بالجمع؛ لاجتماع أصحابه معه،

(١) سورة: النحل, آية: ٢

(٢) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، صـ ٦٠٠ ، والبحر المحيط ٥٠٣/٦

(٣) سورة: آل عمران, آية: ٣٩

وكان جبريل عليه السلام رئيس الملائكة، وقل ما يبعث إلا ومعه جمع، فجرى على ذلك"(١).

إذا سر هذا التعبير- كما قال البغوي- أن جبريل هو رئيس الملائكة، بالإضافة إلى أن هذا التعبير فيه تعظيم لجبريل- عليه السلام- وبيان لرفعة شأنه، إذ جعله الله- عز وجل- وكأنه بمفرده يساوي كل الملائكة؛ لذلك صح التعبير عنه بهذا اللفظ الدال على العموم. (٢)

التعبير بلفظ (العباد):

ورد ذلك التعبير في قوله- تعالى- ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾(٣).

اختلف المفسرون في المقصود من (العباد) على قولين(٤):

الأول: المقصود بهم أهل القرية الذين كذبوا الرسل الثلاثة المبعوثين إليهم، كما قال- تعالى-: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝١٣ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴾(٥)، وعلى هذا القول يكون المتحسّر على هؤلاء

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن ٤٣٥/١

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم ٣١/٢

(٣) سورة: يس, آية: ٣٠

(٤) ينظر: التفسير الكبير ٢٦٩/٢٦

(٥) سورة: يس, آية: ١٣-١٤

القوم، هو الرجل الصالح الذي آمن بهؤلاء الرسل، وهو المقصود بقوله- تعالى-: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(١).

الثاني: المقصود عامة البشر، وبهذا تكون الحسرة واقعة من الله- عز وجل- على سبيل الاستعارة- على هؤلاء البشر.

والأقرب للصواب هو القول الثاني؛ بدليل قوله:"مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ". فالتعبير بحرف الجر (من) يفيد تأكيد الاستغراق، وهذا الاستغراق لا يُتصور إلا مع وجود رسل كثيرين يصعب حصرهم، وهذا لا يتوافق مع قصة أهل القرية، حيث جاءهم رسولان فقط، ثم عززهم الله- عز وجل- بثالث. وقد رجح هذا القول أبو حيان، وابن عاشور. وبهذا يكون التعبير بالعباد من العام المراد به خاص، وهو الأمم التي كذبت رسلها(٢).

يقول ابن عاشور مبينا سر هذا التعبير:" فالتعريف في العباد تعريف الجنس المستعمل في الاستغراق، وهو استغراق ادعائي، روعي فيه حال الأغلب على الأمم التي يأتيها رسول؛ لعدم الاعتداد في هذا المقام بقلة الذين صدقوا الرسل، ونصروهم، فكأنهم كلهم قد كذبوا." (٣)

مقصد ابن عاشور من قوله استغراق ادعائي، أي: أن هذا الاستغراق لا يُقصد به حقيقته من العموم المطلق، وإنما هو من قبيل المبالغة؛

(١) سورة: يس, آية: ٢٠

(٢) ينظر: البحر المحيط ٦١/٩ ، والتحرير والتنوير ٧/٢٣

(٣) التحرير والتنوير ٧/٢٣

لتعظيم كفر هذه الامم، حتى لكأن إيمان الفئة القليلة لا يُعد بالنسبة لكفرهم شيئا؛ تحذيرا من الوقوع في الكفر، وترهيبا من التلبس به.

ولكثرة هذا الكفر وفظاعته صح أن تقع الحسرة من الله – عز وجل- على العباد؛ لوقوعهم فيه؛ ليكون أبلغ في التحذير؛ لأن تصوير الله- عز وجل- في صورة المتحسر- على سبيل الاستعارة- يدل على أن هذا الكفر، أمره جلل، وشأنه خطير(١).

وقيل إن الحسرة هنا ليست من الله- عز وجل – وإنما هي نداء للحسرة أن تحضر. يقول السمعاني:" معنى قول القائل يا حسرة مثل قوله: يا عجبا، وكذلك قوله: يا حسرتاه، مثل قوله: يا عجباه. والعرب تقول هذا على طريق المبالغة، والنداء عندهم بمعنى التنبيه، فيستقيم فيمن يعقل، وفيمن لا يعقل، وقوله: يا عجباه أبلغ من قولهم: أنا أتعجب من كذا، فكأنه قال: أيها العجب هذا وقتك، وأيتها الحسرة هذا زمانك، وحقيقة المعنى: أن هذا الزمان زمان الحسرة والتعجب." (٢)

وقد عبر النظم الكريم بلفظ (العباد) دون البشر أو الناس مثلا، لما في هذا اللفظ من التنبيه إلى أن البشر ما هم إلا عبيد لله عز وجل، لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضرا ولا نفعا، وما داموا كذلك، فقد كان من المفترض منهم أن يعبدوه حق عبادته، لا أن يكفروا به، ويكذبوا رسله.

(١) ينظر : الكشاف ١٣/٤

(٢) ٣٧٥/٤ السمعاني

التعبير بلفظي (المرسلين- الرسل).

ورد التعبير بهذين اللفظين في عدة مواضع في القرآن الكريم، منها قوله- تعالى-: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[1]، وقوله:﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[2]، وقوله:﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ ... الآية ﴾[3]

في هذه المواضع عبر النظم الكريم باللفظ العام (المرسلين- الرسل)، والمراد به خاص، وهو النبي المبعوث إلى قومه. فقوم نوح كذبوا المرسلين، أي: نوح عليه السلام، وقوم عاد كذبوا المرسلين، أي: هود عليه السلام.

وإنما عبر النظم الكريم بهذا التعبير؛ لبيان أن أصول الأديان عند كل الرسل واحدة، مثل: عبادة الله- عز وجل- وتوحيده، والإيمان برسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر، إلى غير ذلك من الأصول التي لا تختلف باختلاف الأزمنة والأعصار؛ لذلك كانت الأمة التي تكذب رسولها، كأنها كذبت كل الرسل والأنبياء من لدن آدم إلى محمد. عليهم جميعا الصلاة والسلام[4].

ومن بلاغة هذا التعبير- أيضا- تبشيع كفر هذه الأمم المكذبة لرسلها، وإظهار فظاعته، وكأن الله- عز وجل- أرسل إليهم كل الرسل

---

(١) سورة: الشعراء, آية: ١٠٥

(٢) سورة: الشعراء, آية: ١٢٣

(٣) سورة: الفرقان, آية: ٣٧

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٣١/١٣ ، روح المعاني ١٠٤/١٠

دفعة واحدة، ومع ذلك كذبوهم، وعاندوا رسالتهم؛ لذلك كان هذا التصوير المبدع أوفق بمقام إظهار شناعة هذا التكذيب، وبشاعة هذا الكفر.

كما ورد التعبير– أيضا– بلفظ (الرسل) في قوله– تعالى–: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾(١).

اختلف المفسرون في المراد من (الرسل) على قولين:

الأول: المراد كل الرسل بتقدير محذوف، والتقدير : قلنا يا أيها الرسل. قال ابن عاشور:" يتعين تقدير قول محذوف اكتفاء بالمقول، وهو استئناف ابتدائي، أي: قلنا: يا أيها الرسل كلوا. والمحكي هنا حَكْي بالمعنى؛ لأن الخطاب المذكور هنا لم يكن موجها للرسل في وقت واحد؛ بضرورة اختلاف عصورهم. فالتقدير: قلنا لكل رسول ممن مضى ذكرهم: كل من الطيبات، واعمل صالحا إني بما تعمل عليم." (٢)

الثاني: أن المقصود بالرسل هو سيدنا محمد– ﷺ– لأن الآية فيها أمر بالأكل من الطيبات، والأمر لا يكون إلا لموجود بالفعل، ولا موجود يصح مخاطبته بهذا الأمر إلا النبي ﷺ. (٣)

ويبدو أن الأقرب للصواب هو القول الثاني؛ لأنه من المستبعد توجيه الأمر للرسل، وهم أموات لا يتصور منهم تنفيذ هذا الأمر، بالإضافة إلى أن

(١) سورة: المؤمنون, آية: ٥١

(٢) التحرير والتنوير ٦٨/١٨

(٣) ينظر:معاني القرآن، للفراء ٢٣٧/٢، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز، صـ ٧٤٨

سياق الآيات يدل على أن المخاطب هو النبي – ﷺ– بدليل الأمر الموجه له صراحة بعد ذلك ﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[1][2]. والله أعلم.

وبذلك يكون التعبير لفظ (الرسل) من قبيل العام المراد به خاص، وهو النبي ﷺ .

وسر هذا التعبير هو تعظيم جناب المصطفى– ﷺ– وبيان رفعة مكانته؛ لذلك خاطبه ربه خطاب الجمع الدال على التعظيم، وعلو الشأن.[3]

كما أن هذا التعبير يظهر أن النبي– ﷺ– قد اجتمعت فيه كل صفات الرسل قبله، وأنه قد حاز كل كمالاتهم؛ لذلك صح توجيه الخطاب إليه، وكأنه كل الرسل. [4]

ومن أسرار هذا التعبير– أيضا– بيان أنه ما من رسول إلا وأمره الله– عز وجل– بأكل الحلال، والبعد عن الحرام، فهذا أحد أهداف بعثة كل رسول، ولما كان كل الرسل مشتركين في هذا الأمر، ومنهم النبي– ﷺ– خاطبه ربه بلفظ العموم الرسل. [5]

---

(١) سورة: المؤمنون, آية: ٥٤

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن . صـ ٦٢٦

(٣) ينظر: غريب القرآن ٢٥٤/١

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم ١٣٨/٦

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (المتوفى:٣١١هـ) المحقق:عبد الجليل عبده شلبي، ط:الأولى ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨ م الناشر: عالم الكتب – بيروت. ١٥/٤

والأمر في هذه الآية لا يُقصد به حقيقته؛ لأن النبي- ﷺ- بالفعل يأكل الحلال، وإنما المقصود هو الدوام على أكل الحلال، والثبات عليه، وذلك مثل قوله- تعالى-:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ... الآية ﴾(١)، أي: داوم على تقواه.(٢)

التعبير بلفظي (المؤمنين- المسلمين).

وقد ورد هذا في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم، في قوله- تعالى-: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾(٣)، وقوله:﴿ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾(٤)، وقوله: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾(٥).

ففي هذه الآيات الثلاث لا يُقصد بلفظي (المؤمنين – المسلمين) العموم المطلق؛ لأن محمدا وموسى- عليهما السلام- وكذلك سحرة فرعون، لم يكونوا أول المسلمين على الإطلاق، وإنما سبقهم إلى الإسلام

(١) سورة: الأحزاب, آية: ١

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢٢٤/٤

(٣) سورة: الأعراف, آية: ١٤٣

(٤) سورة: الشعراء, آية: ٥١

(٥) سورة: الأنعام, آية: ٦٢-٦٣

لله- عز وجل- والإيمان به كثير ممن كان قبلهم، من الأنبياء والرسل وصالحي الامم السابقة؛ لذلك المقصود من هذه الآيات، أنهم أول المؤمنين والمسلمين في زمانهم، وليس في كل زمان. (١)(٢)

وسر هذا التعبير هو تعظيم إيمان وإسلام كلٍ منهم، والمبالغة في كماله، وكأن إيمان غيرهم لا يعتد به بجانب قوة إيمانهم، وكمال إسلامهم.

فموسى- عليه السلام- قال: " تبت إليك وأنا أول المؤمنين" بعدما خرّ صعقا، لما تجلى ربه للجبل الواقف عليه، فهنا أدرك من عظمة ربه، وجلاله ما لم يكن أدركه من قبل، فزاده ذلك إيمانا، وكأن هذا الإيمان لم

---

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٣٤٩/١٩ والكشف والبيان عن تفسير القرآن المؤلف:أحمد بن محمد الثعلبي (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق:أبي محمد بن عاشور ط:الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. ٢١٢/٤

(٢) من المعروف أن القرآن الكريم كثيرا ما يستعمل وصف (مسلم) لكل من أسلم وجهه لله- عز وجل- وعبده حق عبادته؛ لذلك استعمل هذا الوصف مع كثير من الأنبياء قبل سيدنا محمد- ﷺ- مثل: قوله تعالى- على لسان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام-: ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ ﴾ [البقرة:١٢٨]، وقوله على لسان نوح- عليه السلام-: ﴿ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [يونس:٧٢]، إلى غير ذلك من الآيات، وبالتالي يكون قول النبي- ﷺ- : "وأنا أول المسلمين" من قبيل العام المراد به خاص. لكن لو كان المقصود بالمسلمين أنهم الذين يؤمنون بدين الإسلام المنزل على محمد- ﷺ- عندها يكون النبي - ﷺ- بالفعل هو أول المسلمين، وعندئذ يكون الكلام على حقيقته، لكن ما يضعف هذا القول أنه يخالف عرف القرآن في استعمال الإسلام عادة في معناه العام، وهو إسلام الوجه لله عز وجل.

يكن لأحد من قبله بسبب ما رآه؛ لذلك عبر عن نفسه بأنه أول المؤمنين على سبيل المبالغة. (١)

وكذلك سحرة فرعون، لما رأوا من معجزة موسى- عليه السلام- ما جعلهم يتيقنون صدقه خروا لله سجدا، فهذا الإيمان الجازم المؤسس على اليقين الذي لا يخالجه شك، جعلهم- أيضا- يبالغون في قوة هذا الإيمان، وكأنهم أول المؤمنين، مع أن هناك من قوم موسى من آمن به قبل إيمان هؤلاء السحرة. (٢)

أما بالنسبة لسيدنا محمد- ﷺ- فقد قال: "وأنا أول المسلمين"؛ لأن ما أعطاه الله- عز وجل- من المعجزات، ومنحه من الكرامات، بالإضافة إلى ما أوحاه إليه من عبادات وأحكام وتشريعات خاصة بهذا الدين، كل ذلك جعله هو المسلم الكامل، العميق الإيمان بربه والصلة به، ولم يصل أحد إلى رتبته في هذا الإسلام؛ لذلك جاز اعتباره كأنه أول المسلمين، وغيره تابع له في هذا الإسلام. (٣)

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١٥٩/٧

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٩١/٤

(٣) ينظر: تفسير المنار ٢١٦/٨

التعبير بألفاظ (الظالمين – الكافرين - الفاسقين)

ورد ذلك في قوله- تعالى-:﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]، وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[2]، وقوله:﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾[3].

في هذه الآيات وغيرها كثير في القرآن الكريم، نفي الله – عز وجل- هدايته للظالمين والكافرين والفاسقين، لكن في الواقع نجد أن كثيرا من هؤلاء قد هداهم الله- عز وجل- إلى طاعته والإيمان به، فكم من كافر كان محاربا لرسول الله- ﷺ- ثم بعد ذلك بفترة تطول أو تقصر يثوب إلى رشده، وتتنزل عليه هداية ربه، فيصبح مؤمنا موحدا، بعدما كان كافرا مشركا، ووقائع التاريخ شاهدة على ذلك.

وعلى هذا فلا يقصد بهذا التعبير العموم المطلق، وإنما يقصد به عدم هداية الله- عز وجل- لمن كتب عليه أنه لا يكون من المهتدين، ويموت على ذلك.

يقول ابن عطية:" وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ: عموم معناه الخصوص فيمن حتم كفره وموافاته عليه، ويحتمل أن يريد الإخبار عن أن

(١) سورة: البقرة, آية: ٢٥٨

(٢) سورة: البقرة, آية: ٢٦٤

(٣) سورة: المائدة, آية: ١٠٨

الظالم في ظلمه ليس على هدى من الله، فتجيء الآية عامة تامة العموم"[1].

وقد اعترض أبو حيان على الاحتمال الثاني الذي أورده ابن عطية في الآية، فقال:" وهذا المعنى الذي ذكره ينبو عنه لفظ الآية"[2].

وما ذكره أبو حيان هو الحق؛ لأن الآية تنفي أن يهديهم الله- عز وجل- في المستقبل؛ لأن الظالم حال ظلمه لا يكون مهتديا أصلا؛ لذلك ليس هناك فائدة في نفي هداية الله لهم، وهم على هذه الحال.

إذا الظالمون وغيرهم عام ويقصد به خاص، وهم من ماتوا على الظلم والكفر والفسق، وسر هذا التعبير هو المبالغة في التحذير من الوقوع في هذه القبائح؛ لذلك صور النظم الكريم كل من يقع فيها في صورة من حقت عليهم كلمة الله بعدم هدايتهم، وأنهم قد قُطع منهم الأمل في هذه الهداية حتى يوافيهم الأجل، حتى يكون رادعا لهم عن الوقوع في هذه القبائح. فمن يتصور أن مجرد التلبس بها سيكون سببا في عدم هداية الله له إلى نهاية عمره، لا شك أن هذا سيجعله أشد خوفا وحذرا منها.

كما أكد النظم الكريم عدم هداية الله- عز وجل- لهم بتقديم لفظ الجلالة على الفعل المضارع المنفي (لا يهدي)، كما حذف المفعول للفعل يهدي؛ لإفادة العموم، فالله لا يهديهم إلى أي شيء يكون فيه منفعة لهم في دينهم أو دنياهم، وهذا- أيضا- فيه مبالغة في التخويف والتحذير.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤٦٨/١

(٢) البحر المحيط ٢٥٢/٣

المبحث الثالث

من بلاغة التعبير بالعموم المستفاد من

(كل – ما الموصولة – ضمائر الجمع)

التعبير بلفظ (كل):

ورد التعبير بهذا اللفظ مرادا به الخصوص في قوله- تعالى-: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ... الآية ﴾(١)، وقوله: ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ ... الآية ﴾(٢).

فالتعبير بـ(كل شيء) في هذه الآيات ليس من قبيل الحقيقة؛ لأن القرآن لم يحتو على كل شيء مما يتصوره العقل على وجه العموم؛ وإنما هو من قبيل العام المراد به خاص، وهو ما يحتاج إليه الناس في أمور دينهم، وما يتعلق بعقائدهم، وعباداتهم، وأخلاقهم، وإصلاح مجتمعاتهم.

والسر وراء هذا التعبير هو تعظيم شأن القرآن الكريم، وإظهار فضله ورفيع مكانته؛ لذلك صوره الله – عز وجل – في صورة الذي قد حوى كل شيء في هذ الحياة، وجمع كل ما يحتاجه الناس في أمور دينهم ودنياهم، على سبيل المبالغة في تفخيم أمره، وتعظيم شأنه.

---

(١) سورة: النحل, آية: ٨٩

(٢) سورة: يوسف, آية: ١١١

ومن أسرار هذا التعبير بيان أهمية هدايات القرآن الكريم، وأهمية ما تشتمل عليه من أحكام وعبادات وعقائد وأخلاق، لها أثرها الفعال في إصلاح الفرد والمجتمع، وحتى تتضح هذه الأهمية صور القرآن الكريم هذه الهدايات، وكأنها هي كل شيء، وما سواها من سائر العلوم والمعارف لا يعتد بها، أو يؤبه لها، فكأنها والعدم سواء بالنسبة لهدايات القرآن الكريم؛ كل ذلك للدلالة على أن أهميتها لا تطاول أهمية هذه الهدايات، ولا يبلغ بها أن تصل إلى عظيم أثرها، وقيمة نفعها.

ومن بلاغة هذا التعبير – أيضا- أنه يصور هدايات القرآن الكريم وكأنها أصل لكل المعارف والعلوم، وأن هذه الهدايات إذا أخذ بها البشر نمت معارفهم، وارتقت عقولهم على الوجه الأكمل، فالقرآن الكريم يأمر بطلب العلم، وبذل الجهد في تحصيله، كما يحث على السير في الأرض؛ لتحصيل كنوزها، ومعرفة أسرارها، كما يأمر بالتفكر في هذا الكون، والتأمل في بديع آياته؛ للوصول إلى معرفة سننه وقوانينه، كما أنه يضع القواعد الأخلاقية التي بها يسير العلم إلى وجهته الصحيحة في نفع الناس وترقية أحوالهم، بدل استخدامه في إيذائهم، وجلب الضرر لهم، وبهذا الاعتبار يكون القرآن الكريم كأنه قد حوى كل شيء على وجه العموم، مما يحتاجه الناس في أمر الدين والدنيا(١).

وهناك آية أخرى تشبه الآيتين السابقتين، ولكن ورد التعبير فيها بالعموم المستفاد من (من الاستغراقية) في سياق النفي، وهي

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٥٣/١٤

قولــه- تعــالى-:﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴾(١).

اختلف المفسرون في المراد بـ (الكتاب) على قولين، يوضحهما الإمام الواحدي فيقول:" وقوله:" مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ"، قال ابن عباس في رواية عطاء: ما تركنا من شيء إلا وقد بيناه لكم.وهذا من العام الذي أريد به الخاص؛ لأن المعنى: ما فرطنا في الكتاب من شيء بالعباد إليه حاجة إلا وقد بيناه، إما نصا، وإما دلالة، وإما مجملا، وإما مفصلا، كقوله: "وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ". [النحل: ٨٩] أي: لكل شيء يحتاج إليه في أمر الدين.وقال في رواية الوالبي: ما تركنا شيئا إلا وقد كتبناه في أم الكتاب.وعلى هذا القول: المراد بالكتاب: اللوح المحفوظ المشتمل على ما كان ويكون، كما روي في الخبر: جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة"(٢).

وقد ذهب جمهور المفسرين إلى القول الأول، وهو أن المقصود بالكتاب هو القرآن الكريم(٣).

---

(١) سورة: الأنعام, آية: ٣٨

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو الحسن بن علي الواحدي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون،الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ٢٦٨/٢

(٣) ينظر: النكت والعيون ١١٢/٢

وعلى كلٍ فالآية تحتمل كلا القولين، وإن كان الأقرب للصواب هو القول الأول؛ لورود آيتين تدلان صراحة على أن المقصود بالكتاب هو القرآن الكريم.

والسر البلاغي هو ما سبق ذكره، بالإضافة إلى أن النظم الكريم عبر في هذا الموضع بحرف الجر(من) في قوله :" من شيء"؛ لإفادة الاستغراق، وذلك لتأكيد إحاطته لكل شيء؛ ليكون أبلغ في إظهار قيمة القرآن الكريم في هداية البشر(١).

ومما ورد فيه التعبير بلفظ (كل شيء)؛ لإفادة الخصوص قوله- تعالى-:﴿ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ﴾(٢).

فليس المقصود بقوله:"من كل شيء" العموم المطلق؛ لأنه من المستحيل في حق البشر، أن يُعطَى إنسانٌ من كل ما يتخيله الذهن من أشياء في هذه الحياة، بحيث يكون مالكا لها، نافذ التصرف فيها، فهذا على الحقيقة لا يكون إلا لله عز وجل.

وإنما المقصود بـ(كل شيء) خصوص ما أعطاه الله- عز وجل- لسليمان- عليه السلام- مما يليق بشأنه، ويناسب حاله، مثل: النبوة، والملك، وتمام القوة ، وكثرة النعم.

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم ١٣١/٣

(٢) سورة: النمل, آية: ١٦

يقول أبو القاسم بن جزي:"وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ: عموم معناه الخصوص، والمراد بهذا اللفظ التكثير، كقولك: فلان يقصده كل أحد"(١).

وسر هذا التعبير هو تكثير النعم، التي أنعم الله- عز وجل- بها على سليمان. فالمقام مقام شكر لله، واعتراف بعظيم فضله؛ لذلك كان من المناسب إظهار كثرة هذه النعم، والمبالغة في تعظيمها؛ لذا صورها النظم الكريم في صورة العموم المطلق، وكأن سليمان- عليه السلام- حاز كل شيء من النعم؛ ليكون أبلغ في الإقرار بفضل الله- عز وجل- عليه، وأقوى في الاعتراف بمزيد كرمه(٢).

وقد ورد مثل هذا التعبير في قوله- تعالى-: ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾(٣)، وسر هذا التعبير هو المبالغة في بيان عظمة ملكها، وتمام قوتها.

يقول محمد صديق خان:"وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ: فيه مبالغة، والمراد أنها أوتيت من كل شيء من الأشياء التي تحتاجها الملوك، من الآلة والعدة...وهذا عام أريد به الخصوص"(٤).

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٩٩/٢

(٢) ينظر: نظم الدرر ١٤٠/١٤ ، وإرشاد العقل السليم ٢٧٧/٦

(٣) سورة: النمل, آية: ٢٣

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، قدم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، عام النشر: ١٤١٢هـ- ١٩٩٢ م، الناشر: المَكتبة العصريَّة للنّشْر، صَيدَا- بَيروت. ٣٣/١٠

فإن قال قائل: ولماذا يعظم القرآن الكريم ملكها، ويظهر تمام قوتها مع أنها مشركة بالله عز وجل. قيل: لأن ذلك فيه إظهار لقوة سليمان- عليه السلام- وعظمة ملكه، وأن هذه المرأة مع ما هي فيه من عظمة الملك، وأبهة السلطان، قد ذلت وخضعت لسليمان- عليه السلام- فلم تبد أمامه مقاومة، أو تظهر له معارضة.

إذا سياق الآيات يتطلب تعظيم ملكها؛ ليكون أبلغ في تعظيم ملك سليمان، وإظهار عظيم فضل الله- عز وجل- عليه.

وقد يظن ظان أن القرآن الكريم سوى بينهما في النعمة، وعظيم الفضل؛ لأن التعبير واحد، ولكن هذا غير مراد؛ لأن النعم إنما تكون بحسب حال المنعَم عليه، وبحسب ما يشير إليه السياق، فنعمة سليمان- عليه السلام- النبوة وما يتعلق بها، مع نعمة الملك. أما نعمة ملكة سبأ فهي الملك دون النبوة.

يقول الزمخشري:" فإن قلت: كيف قال: وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ، مع قول سليمان: وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ، كأنه سوى بينهما؟ قلت: بينهما فرق بيّن؛ لأن سليمان- عليه السلام- عطف قوله على ما هو معجزة من الله، وهو تعليم منطق الطير، فرجع أولا إلى ما أوتي من النبوة والحكمة وأسباب الدين، ثم إلى الملك وأسباب الدنيا، وعطفه الهدهد على الملك، فلم يرد إلا ما أوتيت من أسباب الدنيا اللائقة بحالها، فبين الكلامين بون بعيد"[1].

(١) الكشاف ٣/٣٦١

ونلحظ أن النظم الكريم في الآيتين السابقتين عبر بالفعل المبني للمجهول (أوتينا – أوتيت)؛ وذلك للعلم بالفاعل، فالذي يقدر على إيتاء كل شيء هو الله- عز وجل- لذلك كان حذف لفظ الجلالة أبلغ من ذكره؛ لبيان أنه من الشهرة، بحيث لا يشتبه على المخاطبين معرفتُه، أو يلتبس عليهم العلم به.

ومما ورد فيه التعبير – أيضا – بـ(كل شيء)، قوله- تعالى-: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا... الآيات ﴾[1] ، كما ورد – أيضا- في المعنى نفسه، ولكن بالتعبير بـ (من الاستغراقية) قوله- تعالى-: ﴿ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴾[2].

هاتان الآيتان وردتا في بيان إهلاك الله- عز وجل- لقوم عاد بسبب تكذيبهم لنبي الله هود – عليه السلام- وليس المقصود من هذا التعبير العموم؛ لأن هذا معناه تدمير الريح لكل شيء في العالم آنذاك، وبالطبع هذا غير مقصود، وإنما المقصود خصوص ما دمرته هذه الريح، وأهلكته من نفوس قوم عاد وأموالهم وبيوتهم.

(١) سورة: الأحقاف, آية: ٢٤-٢٥

(٢) سورة: الذاريات, آية: ٤١-٤٢

يقول أبو حيان:" وكل شيء: عام مخصوص، أي: من نفوسهم وأموالهم، أو من أُمرت بتدميره." (١)

والغرض من وراء هذا التعبير هو تهويل شأن هذه الريح، والمبالغة في قوة تدميرها، وبيان كثرة ما أهلكته من قوم عاد، كل ذلك ليظهر شناعة كفر قوم عاد بربهم، وعظم جحودهم لآياته؛ لذلك استحقوا هذا العذاب الأليم، حتى يكون ذلك زاجرا لكل مخاطب أن يقع في مثل هذا الكفر والجحود(٢).

ولأن المقام مقام مبالغة في قوة هذه الريح، وبيان عجيب أمرها، فإن النظم الكريم عبر بصيغة المضارع (تدمر- تذر)؛ لاستحضار صورتها العجيبة، وحالتها الغريبة في قوة التدمير والإهلاك. كما بالغ في قوة هذا التدمير بالتعبير ب(من) في قوله:" من شيء"؛ لتأكيد الاستغراق، وكأنها لم تترك شيئا على الحقيقة إلا دمرته، وأهلكته. (٣)

ونلحظ أن النظم الكريم أسند التدمير، والإهلاك إلى الريح على سبيل المجاز العقلي، وعلاقته السببية؛ لأن الريح هي سبب هذا الإهلاك. فهذا المجاز صور هذه الريح في صورة العاقل المرسل برسالة من ربه، فهي تعي ما تصنع، وتدرك ما تفعل، فهي تدمر؛ لأنها مأمورة بذلك، وهي لا تترك شئيا تمر عليه قصدا إلا أهلكته وجعلته كالرميم. وهذا- أيضا- فيه

(١) البحر المحيط ٤٤٦/٩

(٢) ينظر: الكشاف ٣٠٧/٤

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ١١/٢٧

مبالغة في قوة تدمير هذه الريح؛ لأن فِعْلها لهذا التدمير، وكأنها قاصدة له مريدة إياه، أبلغ من من فعلها له بلا وعي أو إدراك.

وقد ورد التعبير بـ(كل شيء) أيضا في قوله- تعالى-:﴿ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ...الآية ﴾(١).

فالمراد بشيء في هذه الآية كل من له إدراك، وفي حاجة إلى رحمة الله – عز وجل- مثل: الملائكة، والجن، والإنس، والحيوانات. فكل هؤلاء تشملهم رحمة الله- عز وجل- حتى ولو كان منهم من يكفر به، ويكذب برسله. فالكافرون في الدنيا يعيشون في رحمة الله، كما يعيش المؤمن على حد سواء، أما ما لا يُتصور في حقه الرحمة فهي الجمادات؛ لذا كان التعبير بشيء هنا ليس على حقيقته المطلقة، وإنما هو خاص فيما يحتاج إلى رحمة الله- عز وجل- ممن سبق ذكره.

قال الرازي:"وقال أصحابنا: قوله: وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ من العام الذي أريد به الخاص، كقوله: وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ [النمل: ٢٣]"(٢).

والغرض من وراء هذا التعبير هو تعظيم رحمة الله- عز وجل – وبيان سعتها، وكمال شمولها؛ لذا صورها النظم الكريم في صورة من تسع كل

(١) سورة: الأعراف، آية: ١٥٦

(٢) التفسير الكبير ٣٧٩/١٥

شيء، حتى الجمادات على جهة المبالغة في إظهار هذا الشمول. كما أضافها الله- عز وجل- لذاته الشريفة؛ لإفادة هذا التعظيم أيضا.

ونلحظ أن النظم الكريم عبر بالفعل المضارع (أصيب) عند ذكر العذاب، بينما عبر بالفعل الماضي (وسعت) عند ذكر الرحمة، وسر ذلك أن الرحمة من صفات الله- عز وجل- القديمة الأزلية، التي لا تنفك عنه، وهذا يناسبه التعبير بالفعل الماضي الدال على ثبوت الشيء وتحقق وقوعه، أما العذاب فهو من أفعال الله- عزو وجل- التي تحدث عند وجود ما يوجبها، فالعذاب فعل طارىء على رحمة الله؛ لذلك ناسبه التعبير بالفعل المضارع الدال على التجدد والحدوث(١).

كما كان للطباق بين (عذابي)، (ورحمتي) أثره الكبير في تأكيد عظم هذه الرحمة، وإظهار قيمتها وسعة شمولها، مما يتطلب من كل مخاطب أن يتعرض لهذه الرحمة بطاعة الله- عز وجل- والبعد عن معصيته، وذلك هو المقصود بقوله- تعالى-:"فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ "، أي: أن الرحمة في الدنيا عامة لكل شيء، ولكن في الآخرة سيكتبها الله- عز وجل- للمتقين من عباده.(٢)

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم ٢٧٨/٣ ، وتفسير المنار ١٩٢/٩

(٢) هناك آيات أخرى ورد فيها التعبير ب(كل شيء) مرادا به الخصوص، لم أذكرها خشية الإطالة، وهي: قوله- تعالى-: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ ﴾ [الأنعام:٤٤]

وقوله: ﴿ وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٍ قُبُلٗا ﴾ [الأنعام:١١١]

==

في الآيات السابقة ورد التعبير بـ (كل) مضافا إلى (شيء)، وهو من التعبيرات التي كثرت في القرآن الكريم، لكن ما سيأتي سيكون التعبير فيه ب(كل) مضافا إلى كلمات أخرى، ويقصد بها أيضا العموم.

ومن ذلك قوله- تعالى-: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ... الآية ﴾(١).

في هذه الآية يقرر الحق – سبحانه وتعالى- أنه أعطى البشر كل ما طلبوه منه، وسألوه إياه، ولكن هذا في الحقيقة غير مراد؛ لأنه- سبحانه وتعالى- أحيانا لا يستجيب لدعاء عبده؛ لأنه يرى المصلحة له في عدم الاستجابة، أو لا يستجيب له؛ لكي يعوضه بدل هذا الدعاء أجرا يوم القيامة.

لذلك العموم المستفاد من لفظ (كل) لا يراد على حقيقته؛ لذا اختلفت أنظار المفسرين في توجيه معنى هذه الآية على ثلاثة أقوال(٢):

==

وقوله: ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾ [الكهف:٨٤]

وقوله: ﴿ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [فصلت:٢١]

(١) سورة: إبراهيم, آية: ٣٤

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ١٤/١٧، والهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب الأندلسي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، ط:الأولى، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م. الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ٣٨٢٠/٥

الأول: أن هناك حذفا في هذه الآية، والتقدير: وآتاكم من كل شيء سألتموه شيئا، أي: يعطيكم بعضا من كل شيء تسألونه إياه، ولكن هذا القول ضعيف؛ لأنه مخالف لواقع الأمر. فكم من أناس سألوا الله- عز وجل- أشياء، ولم يعطهم منها لا قليلا ولا كثيرا، هذا بالإضافة إلى تقدير محذوف على هذا القول، والأصل عدم تقدير محذوف، مادام هناك قول يصح حمل الآية عليه بلا حذف كما سيأتي.

الثاني: أن المقصود هنا مجموع الناس، وليس كل فرد على حدة، فما من شيء إلا وقد سأله بعض الناس، فيستجيب الله- عز وجل- لأناس، ولا يستجيب لآخرين، فتكون المحصلة نهاية الأمر أنه استجاب لمجموع الناس كلهم في دعائهم. وهذا وجه حسن يمكن حمل الآية عليه.

الثالث: أن التعبير بـ(كل) من قبيل العام المراد به خصوص الأشياء التي استجاب الله- عز وجل - لعباده في إعطائهم إياها، وهذا أيضا وجه مقبول في تأويل هذه الآية.

وعلى هذا الوجه يكون سر هذا التعبير هو التكثير، أي: إظهار كثرة استجابة الله- عز وجل- لعباده، وكثرة تفضلهم عليهم بإعطائهم ما يسألونه، فالمقام مقام تفضل وإنعام منه- سبحانه وتعالى- وهذا يتطلب المبالغة في تكثير هذه الاستجابة؛ ليظهر لهم مدى كرمه بهم، وتفضله عليهم(١).

(١) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٣٢٠/٥ ، وإرشاد العقل السليم ٤٨/٥

ومما ورد فيه التعبير بـ(كل) قوله – تعالى-: ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِ ... الآية ﴾(١).

يقول ابن قتيبة:" ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ، أي: من الثمرات. وكل هاهنا ليس على العموم. ومثل هذا قوله- تعالى-:" تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا" [سورة الأحقاف آية: ٢٥] "(٢).

ومما يؤكد ما ذهب إليه ابن قتيبة العلماء المتخصصون في حياة الحشرات، حيث بينوا أن النحل لا يتغذى على رحيق كل الأزهار على العموم، وإنما يتخير من الأزهار ما كان حلو الرحيق، وفيه حبوب لقاح ذات قيمة غذائية عالية، وهذا يبين سبب إهمالها لعديد من أنواع الزهور جزئيا أو كليا، فهي لا تمتص الرحيق من زهرة الكمثرى؛ لأن تركيز السكر فيها ٢٠٪ أو أقل، وكذلك لا تزور أزهار الزيتون والطماطم وغيرها؛ لفقرٍ في محتوياتها. والسبب في ذلك أن الإرهاق الذي يصيب النحلة جراء جمع الرحيق من الأزهار، يقلل من عمرها، ولو أنها جرت وراء كل زهرة،

(١) سورة: النحل, آية: ٦٩

(٢) غريب القرآن. صـ ٢٤٦ ، وينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن ٨٦/٣

لانخفض معدل أعمارها؛ لذلك لا تذهب إلا لما فيه قيمة غذائية عالية، وقد عرفت النحلة كل ذلك بإلهام الله- عز وجل- لها(١).

والسر وراء هذا التعبير هو تعظيم قدرة الله-عز وجل- وبيان طلاقتها. فالمقام مقام تعداد لآيات الله في الخلق، وبديع صنعه في التكوين، وهذا يقتضي أن يصور النحل، وكأنه يأكل من كل ثمرات الدنيا؛ ليكون أبلغ في بيان عظمة هذه القدرة، وبديع هذا الصنع. بالإضافة إلى أن هذا التعبير، صور كل ثمرات الدنيا وكأنها ثمار واحدة؛ لأنها متحدة في نظام حياتها، وبديع تركيبها، وكثرة منافعها؛ وهذه الإشارة- أيضا- فيها دليل على عظمة القدرة الإلهية.

ومن بلاغة هذا التعبير المبالغة في بيان قيمة العسل كغذاء نافع للناس، فعندما تتصور أنه ما من نفع في أي ثمرة على وجه الأرض إلا وهو موجود في العسل، عندها تعلم أي قدرة هذه التي أخرجت من كل هذا المزيج المختلف عسلا مصفى، فيه شفاء للناس. كما أنه أبلغ في امتنان الله- عز وجل- على عباده بهذه النعمة العظيمة.

والتعبير بالثمرات مجاز مرسل علاقته اعتبار ما سيكون؛ لأن النحل لا يتغذى على الثمرات، وإنما يتغذى على الأزهار قبل أن تتحول إلى ثمار(٢).

وسر هذا التعبير هو المبالغة- أيضا- في بيان قيمة العسل؛ لأن تصور العسل وكأنه خلاصة مجموعة من الثمرات، التي يأكلها الإنسان

---

(١) ينظر: (ثم كلي من كل الثمرات)، لقمان ابراهيم القزاز، بحث منشور على موقع: إعجاز القرآن والسنة على شبكة الإنترنت، https://quran-m.com/

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ١٤/٢٠٧

ويشتهيها، أقوى في المعنى من تصوره وهو مأخوذ من الأزهار، التي لا يأكلها الإنسان، ولا تأتي له على بال.

وورد التعبير- أيضا- بـ(كل) في قوله- تعالى-: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾(١).

هذه الآية شُهرت في كتب البلاغة بالاستشهاد بها على حذف الصفة، والتقدير: يأخذ كل سفينة صالحة(٢)، بدليل قوله- تعالى- : " فأردت ان أعيبها"، وهذا وجه صالح لحمل الآية عليه، ولكن يمكن جعل هذه الآية – أيضا- من قبيل العام المراد به خاص، وهو السفن الصالحة.

يقول ابن عطية:" وقوله:" كل سفينة" عموم معناه الخصوص في الجياد منها، الصحاح المارة به." (٣)

والأولى حملها على أنها من قبيل العام المراد به خاص؛ لأنه لا يلجىء إلى تقدير محذوف؛ لأن الأصل عدم الحذف.

وسواء حُملت الآية على هذا أو ذاك، فإن السر البلاغي واحد، وهو تبشيع حال هذا الملك الظالم، والمبالغة في إظهار بغيه وعدوانه؛ لذلك صوره القرآن الكريم في صورة من يستولي على كل السفن على وجه

(١) سورة: الكهف, آية: ٧٩

(٢) ينظر: بغية الإيضاح ١٠٨/٢

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥٣٦/٣

العموم، كما أن هذا التعبير أفاد- أيضا- كثرة السفن التي استولى عليها هذا الملك، إلى درجة أن السفن التي لم يأخذها لعيبها، لا تعد شيئا بجانب ما أخذه، واستولى عليه.

التعبير بلفظ (ما الموصولة).

وذلك في قوله- تعالى-: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾(١).

اختلف المفسرون في المقصود من (ما) على قولين:

الأول: أنها للعموم المطلق، وأن كل شيء على الأرض إنما هو زينة لها بالفعل، حتى الحيوانات الضارة، والحشرات الناقلة للأوبئة والأمراض فهي زينة، من حيث دلالتها على قدرة الله- عز وجل- وبديع صنعه في الخلق(٢).

الثاني: أن (ما) هنا من قبيل العام المراد به خاص، وهو كل ما تتزين به الأرض مما يُسر النفوس، ويُبهج القلوب، مثل: المياه الجارية، والأشجار الوارفة، والمناظر الخلابة وغيرها. أما ما تشمئز منه النفوس، وتنفر منه القلوب، كالحشرات الضارة وغيرها، فلا يدخل في مفهوم الزينة(٣).

(١) سورة: الكهف, آية: ٧

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٠/٣٥٤

(٣) ينظر: زاد المسير في علم التفسير ٣/٦٥

والأقرب للصواب هو القول الثاني؛ لأن دلالة المخلوقات على قدرة الله- عز وجل- وبديع صنعه لا تعد من قبيل الزينة، ولا تدخل في مفهومها لا لغة ولا شرعا، فالزينة: هي ما يُجمِّل الشيء، ويضفي عليه ألوانا من الحسن، وهذا بخلاف الدلالة على قدرة الله، فبين المفهومين بون بعيد. نعم قد يُتَوصل بهذه الزينة إلى الاستدلال على قدرته- سبحانه وتعالى- لكن أن يكون معنى الزينة نفسه هو الدلالة على هذه القدرة، فهذا غير صحيح.

وعلى هذا يكون التعبير بـ(ما) من قبيل العام المراد به خاص، وسر هذا التعبير هو إظهار كثرة ما أودعه الله- عز وجل- في هذه الأرض مما يزينها، ويضفي عليها ألوانا من البهجة والجمال، حتى لكأن الأشياء الضارة، التي تشمئز منها النفوس، وتنفر منها القلوب غير موجودة؛ لقلتها بالنسبة لكثرة ما هو حسن وجميل. وهذا هو الواقع بالفعل، فالأنهار الجارية والمحيطات الهادرة، ورمال الصحاري اللامعة، والغابات ذات الخضرة المبهجة، والحيوانات ذات الألوان الخلابة، كل ذلك يغطي معظم الأرض في الحقيقة وواقع الأمر.

كما نكر النظم الكريم (زينة)؛ لإفادة التكثير أيضا، مع إفادة التعظيم؛ لبيان أنها تدل على عظمة الخالق – سبحانه وتعالى- الذي خلق فأبدع، وصنع فأتقن.

التعبير بضمائر الجمع الدالة على العموم.

ضمائر الجمع بأصل وضعها اللغوي لا تدل على العموم، وإنما العموم مستفاد من دلالتها على جمع من الناس، كقوم ما أو جماعة ما، ويفهم من خلال السياق أن المقصود هو عموم هؤلاء القوم، أو هذه الجماعة.

وقد ورد ذلك في قوله- تعالى- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا... الآية ﴾[1].

فالذين وقعوا في السبي، وأخرجوا من ديارهم ليس عامة بني إسرائيل، وإنما بعضهم، بدليل أن نبيهم وسطهم، ويعيش معهم، وطلبوا منه أن ينصّب عليهم ملكا؛ ليقاتلوا تحت لوائه، فكل ذلك لا يكون إلا لقوم في ديارهم، فدل ذلك على أن الذين وقعوا في السبي غير هؤلاء القوم الذين يخاطبون نبيهم.

يقول ابن الجوزي:" قوله تعالى: "وقد أخرجنا من ديارنا" يعنون: أخرج بعضنا، وهم الذين سبوا منهم وقهروا. فظاهره العموم، ومعناه الخصوص"[2].

وإنما عبر النظم الكريم بهذا التعبير؛ لأن المقام يستدعي ذلك. فبنو إسرائيل في محاورة مع نبيهم، يحاولون إقناعه بتصميمهم على القتال واستعدادهم له؛ لذلك صوروا أنفسهم في صورة من وقع السبي عليهم جميعا، وليس على بعضهم؛ مبالغة في بيان عظم هذه المصيبة، وشدة

(١) سورة: البقرة, آية: ٢٤٦

(٢) زاد المسير في علم التفسير ٢٢٢/١ ، وفتح البيان في مقاصد القرآن ٧٠/٢

وقعها عليهم، وما عليه إلا أن يختار لهم ملكا يقاتلون تحت لوائه؛ لإنقاذ أنفسهم من هذا الذل والعار.

ومع أن الإخراج من الديار يتضمن البعد عن الأبناء، لكنهم أفردوهم بالذكر؛ إمعانا في بيان عظم هذه المصيبة، وتأكيدا على توفر النية الجازمة للقتال؛ لأن الأبناء هم أغلى ما يملك الإنسان(١).

وورد التعبير بضمير الجمع – أيضا– في قوله– تعالى– ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ... الآية ﴾(٢).

اختلف المفسرون في هذه الآية على قولين(٣):

الأول: أن الضمير في (خلقناكم وصورناكم) مقصود به عامة البشر، والمعنى: خلقناكم في صلب آدم، أو أصلاب آبائكم، ثم صورناكم في الأرحام، وحرف العطف (ثم) في قوله: " ثم قلنا للملائكة اسجدو"، لا يقصد به الترتيب مع التراخي، وإنما هو بمعنى الواو، وعلى هذا يكون في الآية تقديم وتأخير، والتقدير: ولقد قلنا للملائكة اسجدو لآدم، ثم خلقناكم وصورناكم.

(١) ينظر: روح المعاني ٥٥٧/١

(٢) سورة: الأعراف, آية: ١١

(٣) ينظر:الكشف والبيان عن تفسير القرآن٤/ ٢١٨وتفسير القرآن، للسمعاني١٦٧/٢ والجامع لأحكام القرآن ١٦٨/٧

الثاني: أن المقصود بضمير الجمع آدم- عليه السلام- وإنما عبر عنه بهذا الضمير؛ لأنه أصل البشر، فخلقه وتصويره كأنه خلق لعامة البشر، وتصوير لهم.

والأقرب للصواب هو القول الثاني؛ لأن القول الأول فيه تكلف، حيث أبطل معنى (ثم)، وجعله بمعنى الواو، وهذا خطأ عند معظم النحويين(١)، بالإضافة إلى حمل الآية على التقديم والتأخير بلا داع لذلك، مما ترتب عليه تفكيك نظم الآية، وإضعاف حسن سبكها.

أما القول الثاني ففيه حفاظ على نظم الآية، وحفاظ على المعنى الحقيقي لحرف العطف (ثم)، كما أنه يراعي الترتيب الطبيعي لخلق آدم- عليه السلام- فقد خلقه الله- عز وجل- أولا من طين غير مصور، ثم صور هذا الطين في صورة البشر، ثم بعد ذلك أمر الملائكة بالسجود له بعد نفخ الروح فيه؛ لذلك لا داعي للقول بالتقديم والتأخير(٢).

وبذلك يكون الخطاب موجها إلى عامة البشر، ولكن المقصود به خاص، وهو آدم عليه السلام.

وسر هذا التعبير ذكره أبو السعود، وسأنقل كلامه بطوله؛ لما فيه من من بيان ووضوح. قال:" ولقد خلقناكم ثم صورناكم": تذكير لنعمة عظيمة فائضة على آدم- عليه السلام- سارية إلى ذريته، موجبة لشكرهم ... وتصدير الجملتين بالقسم، وحرف التحقيق؛ لإظهار كمال العناية بمضمونهما، وإنما نسب الخلق والتصوير إلى المخاطبين مع أن المراد

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه٢/٣٢١

(٢) ينظر: الكشاف ٢/٨٩

بهما خلق آدم- عليه السلام- وتصويره حتما؛ توفية لمقام الامتنان حقه، وتأكيدا لوجوب الشكر عليهم، بالرمز إلى أن لهم حظا من خلقه- عليه السلام- وتصويره؛ لما أنهما ليسا من الخصائص المقصورة عليه- عليه السلام- كسجود الملائكة له- عليه السلام- بل من الأمور السارية إلى ذريته جميعا. إذ الكل مخلوق في ضمن خلقه على نمطه، ومصنوع على شاكلته، فكأنهم الذي تعلق به خلقه وتصويره، أي: خلقنا أباكم آدم طينا غير مصور، ثم صورناه أبدع تصوير، وأحسن تقويم سار إليكم جميعا"(١).

وقد أشار أبو السعود خلال كلامه إلى لفتة بيانية رائعة، حيث ذكر أن السجود لآدم- عليه السلام- من خصائصه التي لايشاركه فيها ذريته، بخلاف الخلق والتصوير؛ لذلك عند ذكر سجود الملائكة ذكر آدم صراحة، دون ذريته.

(١) إرشاد العقل السليم ٣/٢١٤-٢١٥ ، وينظر: روح المعاني ٤/٣٢٧

خاتمة البحث

أهم النتائج التى توصلت لها فى هذا البحث، هى:

الأولى : ذكر العام وإرادة الخاص من الأساليب العربية، التي لها أثر كبير في المبالغة في المعنى، وحسن تصويره، ومع ذلك لم تلق الاهتمام الكافي من علماء البلاغة، ولم يسلطوا الضوء عليه في كتبهم.

الثانية : أول من أشار إلى هذا الأسلوب في كتبه الإمام الفراء، ثم تلاه كثير من المفسرين، وعلى رأسهم الإمام الطبري، ثم كان أول جامع لشواهد هذا الأسلوب في القرآن الكريم الإمام الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن)؛ لذلك يعد المفسرون، هم أول من اهتموا بهذا الأسلوب، وبينوا كثيرا من بلاغته في تفاسيرهم.

الثالثة : تتمثل بلاغة هذا الأسلوب في المبالغة في المعنى؛ لأن تصوير الشيء الواحد في صورة العدد الكثير يدل على المبالغة والتعظيم من شأن هذا الشيء، بجانب الإيجاز في كثير من مواضع هذا الأسلوب.

الرابعة : أكثر صيغ العموم ورودا في هذا البحث هي صيغة (كل شيء)؛ لأنها تدل على العموم المطلق الذي يندرج تحته كل ما يتخيله الذهن في هذا الوجود؛ لذلك هي أقوى في المبالغة من غيرها؛ لذلك كثر استخدامها.

الخامسة : التعبير بالقوم والمراد بعضهم أسلوب شائع في القرآن الكريم؛ لبيان رضا عامة القوم، أو سكوتهم عما يفعله بعضهم، وفي هذا إشارة إلى وجوب تكاتف المجتمع ووقوفه ضد من يشيع فيه الفساد، وإلا أصبحوا كلهم كأنهم مشاركون في هذا الفساد.

السادسة : التعبير بالقوم والمراد به بعضهم، يجوز حمله على أنه من التعبير بالعام عن الخاص، ويجوز حمله على أنه من قبيل المجاز العقلي، ولا مشاحة في حمله على أحدهما؛ لأن الغرض البلاغي واحد.

السابعة : قد يعبر القرآن الكريم بالتعبير نفسه في سياقين مختلفين، ويكون لكل تعبير سره البلاغي المختلف عن الآخر؛ تبعا لاختلاف السياق. فقد عبر القرآن الكريم بـ(الناس)، وقصد به مرة نعيم بن مسعود، ومرة محمد وإبراهيم – عليهما الصلاة والسلام-. والسر البلاغي مختلف لكل منهما، كما عبر بقوله:"وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ" عن النعم التي أنعم بها على سليمان- عليه السلام- وكذلك بلقيس ملكة سبأ، والسر البلاغي أيضا مختلف، وهذا يبين أهمية السياق في فهم بلاغة القرآن الكريم.

الثامنة : الأفضلية المطلقة في كل زمان ومكان بالنسبة لعالم البشر إنما هي للنبي محمد- صلى الله عليه وسلم- على سائر الأنبياء، ولأمته على سائر الأمم، أما ما ورد من تفضيل بعض الأنبياء أو الأمم بصيغة

العموم، فالمقصود به التفضيل في زمنهم الخاص بهم. وقد استخدم القرآن كثيرا التعبير بالعام عن الخاص في هذا التفضيل.

التاسعة: كثيرا من الخصال السيئة نسبها القرآن الكريم إلى الإنسان، والتعبير بالإنسان في هذه السياقات؛ لا يقصد به الكافر– كما ذهب إليه كثير من المفسرين– وإنما المقصود به كل من يقع في هذه الخصال، سواء أكان كافرا أم مسلما؛ للدلالة على كثرة من يتصف بهذه الصفات في دنيا البشر.

والحمد لله رب العالمين

الدكتور / أنس محمد عبد المنعم محمد الغنام

المدرس بقسم البلاغة والنقد

كلية اللغة العربية بالزقازيق – جامعة الأزهر

قائمة المراجع

أولاً : القرآن الكريم.

ثانيا : مراجع أخرى.

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت٠

٢- إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، المؤلف: محمد بن علي الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، المحقق/ أبو حفص بن العربي الأثري، ط: الثانية١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م الناشر: الفاروق الحديثة- القاهرة.

٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) تحقيق/ محمد عبد الرحمن المرعشلي الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت٠

٤- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)٠تحقيق: صدقي محمد جميل ٠ط :١٤٢٠هـ الناشر: دار الفكر – بيروت٠

٥- البرهان فى علوم القرآن٠للإمام الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) تحقيق: أبي الفضل الدماطى ط: ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، دار الحديث – القاهرة٠

٦- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي(المتوفى:١٣٩١هـ)، ط: نهاية القرن ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م الناشر: مكتبة الآداب.

٧- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (المتوفى: ١٣٩٣هـ) سنة النشر: ١٩٨٤هـ، الدار التونسية للنشر – تونس.

٨- التسهيل لعلوم التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمد ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي الطبعة: الأولى ١٤١٦هـ، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت.

٩- تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني (المتوفى: ٤٨٩هـ). تحقيق: ياسر إبراهيم، وغنيم عباس غنيم ط: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.دار الوطن، الرياض.

١٠- التفسير الكبير، فخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الطبعة: الثالثة ١٤٢٠ هـ ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١١ – تفسير المنار، للشيخ/ محمد رشيد رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ) سنة النشر: ١٩٩٠ م، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٢- جامع البيان في تأويل القرآن، للإمام الطبري، (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م مؤسسة الرسالة.

١٣- الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني، الطبعة : الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م دار الكتب المصرية – القاهرة.

١٤- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المؤلف: أحمد بن إبراهيم الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق: د. يوسف الصميلي الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.

١٥- خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعانى٠د/ محمد أبو موسى٠ط: التاسعة ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م ٠مكتبة وهبة – القاهرة٠

١٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى٠للألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية٠الطبعة: الأولى ١٤١٥ هـ ٠دار الكتب العلمية – بيروت٠

١٧- زاد المسير في علم التفسير ٠ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي٠ط: الأولى ١٤٢٢هـ دار الكتاب العربي – بيروت٠

١٨-الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المؤلف: يحيى بن حمزة العلويّ (المتوفى: ٧٤٥هـ)، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ، الناشر: المكتبة العصرية – بيروت.

١٩- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي وهو ضمن شروح التلخيص، الطبعة: ١٩٣٧م، مطبعة عيسى البابي الحلبي- مصر.

٢٠- علم البيان، د/ بسيوني عبد الفتاح فيود، الطبعة: الثالثة ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع- القاهرة.

٢١- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، المؤلف: أبو على الحسن بن رشيق القيرواني (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: الخامسة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م الناشر: دار الجيل.

٢٢- غريب القرآن، أبو محمد بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) المحقق: أحمد صقر، ط: ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت.

٢٣- فتح البيان في مقاصد القرآن، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان القِنَّوجي، (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، قدم له وراجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، عام النشر:١٤١٢هـ- ١٩٩٢ م، الناشر: المَكتبة العصرية للنشر، صيدا- بيروت.

٢٤- فتح القدير ٠ للإمام الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ. دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ٠

٢٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل٠أبو القاسم محمود الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الطبعة : الثالثة ١٤٠٧ هـ الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت ٠

٢٦- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد الثعلبي، (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: أبي محمد بن عاشور ط:الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد بن عطية الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ) تحقيق:عبد السلام عبد الشافي محمد ط : الأولى١٤٢٢هـ الناشر : دار الكتب العلمية- بيروت.

٢٨- معانى القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ) تحقيق / أحمد يوسف النجاتي وآخرون ، الطبعة: الأولى، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر ٠

٢٩- معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى : ٥١٠هـ) تحقيق:عبد الرزاق المهدي، ط : الأولى ١٤٢٠هـ٠ دار إحياء التراث العربي – بيروت ٠

٣٠- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م الناشر: عالم الكتب – بيروت ٠

٣١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعى (المتوفى: ٨٨٥هـ) ط : بدون الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة

٣٢- النكت والعيون ٠ للإمام أبى الحسن علي بن محمد الماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) ٠تحقيق: السيد عبد المقصود، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ٠

٣٣- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه أبو محمد بن أبي طالب الأندلسي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، ط:الأولى، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م. الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. جامعة الشارقة.

٣٤- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٠ للإمام الواحدي ٠تحقيق: صفوان عدنان ٠ط: الأولى، ١٤١٥هـ. دار القلم، الدار الشامية – دمشق ٠

٣٥- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الإمام أبو الحسن الواحدي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون ط: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع
١	**المقدمة:**
٢	**التمهيد :** ذكر الخاص وإرادة العام (تعريفه- تاريخه – بلاغته)
٣	**المبحث الأول**: من بلاغة التعبير بالعموم المستفاد من (ال) الداخلة على المفرد.
٣	**المبحث الثانى** : من بلاغة التعبير بالعموم المستفاد من (ال) الداخلة على الجمع.
٤	**المبحث الثالث**: من بلاغة التعبير بالعموم المستفاد من (كل – ما الموصولة – ضمائر الجمع)
٥	**الخاتمة** :
٦	**فهرس المراجع**: